وَمَسَّهُمَا شَيْطَانُ الْهَوَى

© حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

اسم الكتـــاب: وَمَسَّهُمَا شَيْطَانُ الْهَوَى
تأليف: رشا فؤاد العزب
مراجعة لغوية: رنا أبوالغيط
تصميم داخلي: سالم عبدالمعز سواح القـطـــــع: 21X14
النـاشـــــــر: دار الزيات للنشر والتوزيع سنـة النشـر: 2025

تم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية برقم: 16941 / 2025
الترقيم الدولي (ISBN): 978 - 977 - 844 - 645 - 6

دار الزيات للنشر والتوزيع
المشهرة قانونًا بسجل تجاري رقم/ ٤٩٣٥١

ت: ٠١٠٦٦٧٣٦٧٦٥ - ٠١٠١٥٧٦٦٠١٤ / shahnda71@gmail.com

وَمَسَّهُمَا شَيْطَانُ الْهَوَى

رواية

د. رشا فؤاد العزب

عذراء المشاعر...

هكذا كانت تلقّب نفسها، تنظر إلى مرآتها بعيون شابة، فلا تريد أن تتذكر عمرها الذي ضاع بين أشباه الرجال. كانت تلهث أنوثتها وراء مشاعر وأحاسيس لم تعشها إلا في خيالها.

كم تمنت أن تذوب داخل ضمة صدر لرجلٍ حقيقي، تمنت أن تستسلم لعناقه الدافئ، لتنصهر في أحضانه وهي بين ذراعيه. ولكنها، للأسف، عاشت فريسةً لمن لا يمتلكون الرجولة ويفتقرون إلى معانيها. كلما هفا قلبها، فسُرعان ما تجد نفسها بين أنياب شخص ماجن، لا نخوة ولا مروءة ولا أصل له. في الحقيقة، هي كانت ساذجة إلى حدٍّ كبير، فلم يكن فشلها لذكائهم بل كان لحماقتها.

جلست وحيدة كعادتها، تتساقط دموعها، تتعرى أمام نفسها مما تخفيه عمّن حولها. إنها عاشقة للقمر، تراقب كل ليلة انتقاصه أو اكتماله، إنها مولعة بالنظر إليه، وكأنه يتحدث إليها ويغمز لها بعينيه. ترمقه حتى تصل لحالة من الهذيان، تضرب دقات قلبها صدرها، فتضطرب أنفاسها، ويعلو صدرها ويهبط، ويرتعش جسدها لدقائق، ثم يدخل في حالة من السكون والتماسك، فتهبط دقات قلبها وتستقر أنفاسها.

ينتابها فقدانٌ للذاكرة للحظات، ثم تمسّها خيالات تصل بها إلى حد الهلوسة أو التوهان.

كلما ظهر القمر في ليلةٍ بمظهره الدموي انقبضت وكأنه إنذارٌ لها بشيء ما سيحترق في قلبها.

تشرب قهوتها على مهل، تلعق بقايا القهوة من قعر فنجانها بإصبعها وهي تنظر إلى قمرها، كما لو كانت امرأة مستهترة تزاول عشيقها. إنها أنثى ينحرف عقلها، نعم، ينحرف عقلها.

كم تمنت أن تعشق رجلًا حقيقيًا، يستحق أن تنهال أنوثتها المكبوتة على عتبته. كانت تود أن تعيش الانحراف بأكمله في صورة شرعية، مع رجل تعشقه، لا تتزوجه وحسب. هي لا تؤمن بفكرة الزوجة فقط، بل كانت تتمنى أن تكون الزوجة الصالحة والعشيقة المدللة، التي تخلّت عن حيائها بين أحضان معشوقها. كانت تقول للقمر بهمس:

_ سأكون زوجتك وصديقتك وعشيقتك.

ثم تجتاحها نوبة من الضحك والبكاء الهيستيري، وكأنها جُنّت أو اختلّت. هي لم تعرف مذاق العشق الحقيقي إلا في السنوات القليلة الماضية.

اتكأت على أريكتها، ترتشف قهوتها وهي تتذكر قصتها، أو بمعنى أدق، ترى شريط مأساتها في خطوط فنجانها.

المقدمة

في ليلة شتوية قارسة ممطرة، يزأر الرعد ويضرب البرق أرجاء السماء، أعدّت لطيفة كوبًا من الشوكولاتة الساخنة بعد صلاتها، لتهدئة جسدها من الخوف من هذا الطقس المرعب.

وقفت خلف زجاج النافذة، تتأمل قطرات المطر والعواصف التي تهز الأشجار بقوة، حتى كادت أن تقتلعها من جذورها.

دق جرس الباب، فتركت مشروبها الساخن وذهبت لفتح الباب. نظرت من العين السحرية، فرأت سامي ابن جارتها، الذي يصغرها بعدة أعوام.

سامي شابٌّ في الخامسة والثلاثين من عمره، انفصل عن زوجته منذ عام تقريبًا، وعاد للإقامة مجددًا مع والدته.

فتحت لطيفة له الباب:

_ مرحبًا سامي، كيف حال والدتك؟

لم يرد عليها، ولكنه دفعها إلى الداخل بقوة وأغلق الباب. فصرخت لطيفة، فكتم فمها بيده، قائلًا:

_ لا تقلقي، فأنا أعشقكِ منذ سنوات.

دفعته لطيفة بقوة، قائلة:

_ أنت مجنون.

وطلبت منه مغادرة منزلها فورًا، فقام بتكتيفها، قائلًا:

_ لن أخرج، فأنا أحبكِ ولن أتركِ أبدًا.

حاول أن يقترب منها، ولكنها نجحت في دفعه بقوة، وظلّت تصرخ بأعلى صوتها، وجرت نحو الباب وفتحته وهي لا تزال تصرخ، فاجتمع الجيران وسألوها: ماذا حدث؟

وهنا خرج سامي مسرعًا، وصعد السلالم دون أن ينظر إلى أحد. طلب عم جمال، الرجل المسن الذي يسكن بجوارها، من الجيران أن ينصرفوا، ثم طمأن لطيفة، قائلًا:

_ أغلقي بابكِ جيدًا ولا تفتحي لأحد بسهولة، وسوف أتحدث مع أهل هذا المستهتر غدًا في هذا الفعل.

أغلقت لطيفة بابها وهي تبكي، وتنعي حظها، فلم يكن ينقصها إلا ذلك الأحمق الغبي الذي زاد على همومها همًّا آخر. ثم تساءلت: "كيف ستواجه جيرانها بعد هذا الحادث؟" فحتمًا أصحاب النفوس المريضة سيثرثرون: "إنه من المؤكد رأى منها ما يثيره، ودفعه لهذا التصرّف"، بكت وسألت نفسها: "كيف ستجعل كل شخص يضع لسانه في فمه؟".

مسكينة، ماذا ستفعل؟

جلست بجانب النافذة، وأمسكت بكوب الشوكولا، وسرحت في تفاصيل حياتها السابقة، ثم أخذت تبكي وهي تتذكر قصتها التعسة منذ البداية.

الفصل الأول
حلاوة البدايات

لطيفة من أجمل فتيات بلدتها، فكان كل من يراها يتهافت عليها ويحلم بها. فقد اجتمع فيها الجمال والدلال والجاذبية والبراءة، وتلك مقومات من النادر أن تجتمع في فتاة. فهناك من تمتاز بالجمال، ولكنها ثقيلة الظل. وهناك من تكون خفيفة الظل، ولكن جمالها محدود. وهناك من تكون جميلة، ولكنها تفتقد الدلال الأنثوي. وهناك من تكون جميلة كلوحة فنية رائعة، ولكن تفتقد الروح.

أما أدهم، فهو ابن أحد رجال الأعمال الأثرياء. هو حلم كل الفتيات، فهو يتمتع بالوسامة والجسم الرياضي والأصل والمال. ولكنّه مغرور، لا تعجبه أي فتاة مهما كانت درجة جمالها، إلا لطيفة، هي من ملكت قلبه، فبدأ بمغازلتها والذهاب بسيارته تحت شرفتها ليدير لها أغنية تحبها، أو يلقي بشرفتها باقةً من الورد الرائع أو كيسًا من الشوكولاتة الفاخرة.

كانت لطيفة تشعر نحوه بعاطفة قوية، فكان يتراقص قلبها البريء حين تراه.

وذات يوم، قرر والد أدهم أن يرسله إلى إحدى الدول الأوروبية ليدير إحدى شركاته، ويقيم لفترة من الوقت مع ابن عمه الأكبر منه عمرًا، الذي كان يدير الشركة هناك بنجاح منذ سنوات طويلة، فحتمًا سيتعلم منه أدهم طرق الإدارة الناجحة.

ولكن أدهم صمم أن يخطب لطيفة قبل السفر، بالرغم من اعتراض والده، لأنه يريد أن يزوجه من فتيات العائلة للحفاظ على

الثروة، كما كان يرى أن عائلة لطيفة من طبقة متوسطة الحال، وليست مناسبة لمكانتهم الاجتماعية. فقال أدهم لوالده:

_ لطيفة هي أول حب دق له قلبي، وأنا مصمم على الزواج منها.

فقال له والده باستياء:

_ أنا أعلم جيدًا أنك طائش وصاحب هوى، وبمجرد سفرك ستنسى لطيفة إلى الأبد.

ولكن أمام إصرار أدهم، ذهب معه وتمت الخطبة على وعد منه أن يتم الزواج بعد انتهاء لطيفة من دراستها، وعودة ابنه من السفر.

اشترى أدهم شبكة رائعة وباهظة الثمن تليق بمكانته، واشترى لها الهدايا الثمينة.

شعرت لطيفة بسعادة لا توصف، وكانت تقول بكل غرور: "أنا من اختارني أدهم من بين كل فتيات البلدة".

سافر أدهم، وكان في البداية شديد الغيرة عليها ويهتم لكل صغيرة وكبيرة في حياتها.

يرقص قلبها من الفرح عندما يرن الهاتف وتجده حبيبها أدهم:

_ كيف حالكِ يا حبيبتي وغايتي؟

_ اشتقت إليك، ولا ينقصني سوى وجودك معي.

_ لا تقلقي، سأعود قريبًا ونتزوج، وأخذك معي يا نبض قلبي.

_ لا أحد من عائلتك يسأل عني يا أدهم.

_ لا تهتمي، واعتني بنفسك، وبعد شهور قليلة ستصبحين زوجتي، وسيتغير الحال، وسيدور الكون كله من حولك. ولكن لا تخرجي بمفردكِ، ولا ترتدي ملابس مكشوفة، ولا تقفي في الشرفة، ولا تكلمي أحدًا من الجيران، وابتعدي عن هدى صديقتكِ، فأنا لا أرتاح لهذه الفتاة.

_ أمرك يا محبوبي.

كانت لطيفة تطير من الفرحة بسبب غيرته عليها واهتمامه بها، ولكن مع مرور الوقت تحقق اعتقاد والده، فلم يعد يسأل عليها، واختفى عنها فجأة، حتى إنها سمعت من أقاربه أنه تزوج من فتاة أوروبية.

وبالطبع لم يهتم والده بهذه الزيجة، فهو يعلم أنها أيضًا فترة وستنتهي وسيتركها مثل غيرها. صُدمت لطيفة ولم يحتمل قلبها المهانة، حتى إنها مرضت لشهور طويلة لعدم قدرتها على مواجهة نظرات الشماتة التي رأتها في أعين حسادها. وللأسف ازداد الأمر سوءًا، فلم يسأل أي شخص من عائلة أدهم عنها، وقالوا: "لقد تركنا لها شبكة باهظة الثمن وهدايا ثمينة، وهذا يكفي."

بدا لها أنها لم تكن تعني لهم شيئًا، مما تسبب هذا في زيادة حسرتها.

وبعد مدة، تعافت لطيفة من صدمتها، ونَسَت أدهم، وبدأت قصتها مع سمير ابن الجيران.

كان سمير يسكن في المنزل المقابل لها، ويراقبها في الذهاب والعودة، بل إنه من شدة حرصه عليها، كان يتبعها حينما تذهب لزيارة إحدى صديقاتها أو لشراء بعض ما يلزمها. هي أيضًا كانت تراقبه من شرفتها، وتنتظره بالساعات، غير مكترثة بأحوال الطقس من حر أو برد.

كانت تناديه "سمسم"، وكان يرفرف قلبها، ويتمايل جسدها بدلال وهي في طريقها لرؤيته. وكانت تضع قبعة على شعرها، وكأن تلك القبعة تخفيها عن أعين الناس.

كان سمير يكبرها بعشرة أعوام، وكانت تهرب إليه من حياتها الأسرية المتقلقلة، واعتقدت أنها ستجد في حبه لها الأمان الذي تفتقده.

نشأت لطيفة في أسرة مفككة، فكانت دائمًا شاردة وخائفة. لقد عاشت سنوات صعبة مع عائلتها بسبب جدتها صفية أم والدها التي تقيم معهم في منزل واحد، فكانت تسمعها تقول:

"أنا الملكة صفية زوجة الملك سمعان، أعظم ملوك العالم الخفي تحت أعماق البحار."، كانت لطيفة تسمع جدتها داخل غرفتها تتحدث معه بالساعات، فكانت ترتعش وتهرب تحتمي بحضن أمها. وبالطبع تسببت الجدة صفية في التوتر والمعاناة لكل أفراد العائلة.

كان والد لطيفة رجلًا سلبيًّا، لا يهتم بمعاناتهم، وكان يطلب منهم دائمًا ألا يعطوا الأمور أكثر من حجمها، قائلًا لهم:

_ أمي سيدة مسنة، مريضة بالأوهام، ولا يؤخذ بكلامها.

ولكن كثيرًا ما كان يحدث في المنزل أشياء عجيبة، فقد كانت لطيفة دائمًا تلمح خيالات، أو تشعر بأن أحدهم يضع يده على شعرها أو جسدها، فكانت تلتفت إلى اليمين وإلى الشمال، فلا تجد أحدًا. ولكن، دائمًا كان يتكرر في منامها رؤيا مرعبة. كانت ترى أنها تحمل على يديها طفلة صغيرة وكأنها ابنتها، ثم تسمع صوت شخصٍ يقول لها بصوت غليظ:

_ يا لطيفة، هذه هي ابنتكِ التي سترث العرش بعد موت جدتك الملكة صفية.

وفجأة، تصبح هذه الطفلة شابة جميلة، ثم يظهر هذا الشخص ويحاول أن يأخذها منها بالقوة. إنه رجل أسمر، طويل القامة، أسود الشعر، واسع العينين، وبؤبؤ عينيه كأنهما فصوص ألماس.

فتصرخ لطيفة في وجهه، قائلة له:

"ابنتي، ابنتي، اترك لي ابنتي، فلا تحرمني منها."، فينتزعها منها بقوة ويطير بها.

تستيقظ لطيفة وهي تصرخ وترتعش، ويستيقظ على صراخها كل أفراد الأسرة.

ولكن الغريب في الأمر، أن الجدة صفية كانت تبتسم وتضمها إلى صدرها، وتطلب منها ألا تبكي، ثم تتنهد وتقول لها:

_ لا تبكي يا بنيتي، فالمكتوب لا مفر منه، والقسمة والنصيب لا مفر منهما.

فترد عليها لطيفة وتسألها بخوف:

_ ماذا تقصدين يا جدتي؟

فترد عليها جدتها وهي تهز رأسها:

_ لا تتعجلي في معرفة المكتوب يا لطيفة.

لم تكن لطيفة تفهم مقصد جدتها، وبالرغم من معاناة أم لطيفة مما يحدث، ولكنها كانت تطمئنها:

_ لا تقلقي يا ابنتي، فالقادم أجمل بإذن الله.

لطيفة ترى أمها تصلي باستمرار، وتسمعها تبكي بحرقة في سجودها، وتدعو الله أن يحميهم من كل شر.

وذات يوم، سمعت جدتها صفية تجادل والدتها وتقول لها:

_ أنا زوجة شرعية للملك سمعان، وهو ملك مؤمن وموحد بالله، وكذلك قبيلته. هو يعشقني منذ أن كنتُ شابة، وهو من أجلي يرعى أبناءك ويحمي هذا المنزل من الخراب. وتذكري مرض ابنتك لطيفة؛ كان بسبب سحرٍ فعلته ابنة خال أدهم حتى تفسخ خطبتها منه، وزوجي الملك العظيم سمعان هو من ساعدني بفك السحر بإذن الله.

ثم تؤكد لها أن هذا النسب الشريف لن يخرج من العائلة، فتقول لها:

_ بعد وفاتي، سيتخذ ابن الملك سمعان قرارًا في اختيار العروس التي تناسبه.

كانت لطيفة لا تعلم معنى هذا الحديث الغريب، وتمنت أن تخرج من هذا المنزل المخيف بأسرع وقت ممكن.

شعرت لطيفة بالحاجة الملحة إلى الزواج من سمير لتجاوز مخاوفها، فطلبت منه تعجيل الزواج. كما أنها فقدت الثقة بنفسها بعد الصدمة التي تعرضت لها من أدهم، فوهبت كل مشاعرها لسمير، دون أن تهتم إذا كان سيبادلها نفس الاهتمام أم لا.

تقدم سمير لخطبتها، فرفض والدها وعارض بشدة، فكان يعتقد أن سمير ما زال في بداية حياته العملية، وأن لطيفة لم تتجاوز صدمتها بعد من علاقتها السابقة مع أدهم.

رأى والدها أن من الأفضل لها أن تركز على دراستها وتحقيق أهدافها قبل التفكير في الزواج.

ولكن، أصرت لطيفة على إتمام الزواج، الذي اعتقدت أنه سيرد لها اعتبارها أمام الجميع.

"سمير رجل معسول الكلام، كان ناضجًا، أنيقًا، حنونًا، وحسن العشرة."، هكذا قالت لطيفة.

وبالفعل، تم الزواج، وأحبته لطيفة بجنون، أو بمعنى أدق، أمرت نفسها بحبه، وحاولت أن تسعده بشتى الطرق. ولكنها سرعان ما اكتشفت أنه أتقن التمثيل عليها ببراعة، فقد ظهر على حقيقته منذ البدايات.

كان سمير ضعيف الشخصية، يسمع من هذا وذاك، ثم يسقط كل ما سمعه من نصائح فاسدة على هذه المسكينة.

للأسف، قد اتخذ سمير من طاعتها وحبها له سلاحًا طعنها به.

اتكأ سمير على نقطة ضعفها، فقد كان يعلم أنها لن تجرؤ على أن تشتكيه لعائلتها.

"لا تدللها، لا تشكرها على اهتمامها بك، فهذا واجب عليها، لا تشتري لها كل ما تطلبه منك، بل اشترِ ما تريده أنت. ودائمًا لا تُبدِ إعجابك بما تعده إليك من طعام حتى تتعلم أكثر."

هكذا كان ينصحه كل حاقد وحاسد من أهله أو أصدقائه أو صديقاته في العمل، فبدأ حياته معها بأوامر لا تُعقل وتأنيب لا ينتهي. ولقد حاولت لطيفة إرضاءه بكل الطرق حتى لا يفشل زواجهما، وحتى لا يشمت بها أحد.

ظلت المسكينة تسامحه على أخطائه حتى أصبحت كالتمثال الحجري، ملامح متجمدة بلا روح. ومع حزنها المستمر، شحب وجهها الجميل وتلاشى بريقها، وتمنت أن تهرب من سمير، ولكن إلى أين؟ هي لا تريد العودة إلى بيت عائلتها والحياة مجددًا مع الجدة الملكة الأم صفية.

وبعد عدة سنوات، انتقل سمير لعمل جديد، فتحولت أحواله المادية إلى الأفضل. ولكن بكل أسف، اتجه إلى لعب القمار، ولم توافقه لطيفة على استهتاره، وكانت تقول له بحسرة:

_ يا مصيبتي فيك، معاملة سيئة، جفاء، فساد ولعب قمار. ألستَ رجلًا؟ ألا تشعر بالمسؤولية؟ أم جنَّ عقلك؟

فيردُّ عليها قائلًا لها باستهزاء:

_ أنتِ امرأة قديمة الفكر والمعتقدات، ولن تتقدمي إلى الأمام خطوة واحدة.

لم تيأس لطيفة، فحاولت معه بشتى الطرق، فذكرته بدينه وتحدثت معه بالعقل والنصيحة الحسنة، ولكن لا فائدة. أصبحت تفضل الجلوس بمفردها معظم الوقت، بل أصبحت تكره عودته إلى المنزل، فبقاؤه في المنزل ليس إلا أوامر وعراك على أتفه الأسباب. وبالرغم من أنه اشترى لها منزلًا جديدًا وأثاثًا رائعًا، لكنها لم تشعر بأي سعادة، وكانت تسأل نفسها قائلة: أين أنا كأنثى؟

رزقهم الله بابنة جميلة أسمتها زهرة، وتحملت من أجلها كل معاناتها، وكان سمير دومًا يصطحبهما يوم العطلة لتناول الغداء في أفخم المطاعم، ثم يقضون أمسيتهم في أحد المقاهي الفاخرة. ولكن للأسف، حتى ذلك اليوم كان يأتي معهم صديقه المقرب أيمن. كانت لطيفة تشعر بالضيق، وتقول لنفسها: تبًّا لهذا الرجل المستهتر، أليس هذا اليوم من حقي أنا وابنتي فقط؟

ولكن سرعان ما تتذكر نكد سمير الدائم، فتنسى كل شيء، وتسرح مع القمر في السماء، وتغرق في أحلام اليقظة معه، وتتحدث إليه في خيالها، وتتوهم وجود حوار بينهما، تاركةً سمير وأيمن يتحدثان مع بعضهما البعض دون أي تدخل منها معهما في الحديث.

تطور الأمر، فبدأ سمير يدعو أصدقاء السوء للعب القمار معه في منزل الزوجية، ولكن لطيفة لم ترضَ عن هذا الوضع المخجل، فواجهته قائلة:

_ أنا لا أسمح بدخول رجال فاسدين إلى منزلي، ولا أوافق على هذا الانحلال. ألا يكفيك خسارة المال في القمار؟

فقال لها بأعلى صوته:

_ هذا منزلي، وأنا حر أفعل فيه ما أشاء، وهذا مالي أنفقه على طريقتي، ولا دخل لكِ في ذلك.

استسلمت لطيفة، ولكنها كانت تغلق غرفتها على نفسها بالمفتاح، من شدة خوفها منهم، حتى جاء اليوم الذي طلب منها سمير أغرب طلب يطلبه رجل من زوجته، فقال لها:

_ بعد قليل سيأتي صديقي فريد لزيارتي، فاصنعي لنا القهوة، وقدميها بنفسك، وأنا سأنشغل عنكما بمكالمة هاتفية، وخلال هذا الوقت، اطلبي منه اقتراض مبلغ من المال، واطلبي منه ألا يخبرني.

كانت صدمة لطيفة لا توصف، فقالت له:

_ لقد جعل القمار منك شخصًا عديم النخوة والكرامة. وأنا لن أفعل ما طلبته مني أبدًا يا عديم الشرف.

فانهال سمير عليها بالشتائم والضرب حتى ساح دمها. ومنذ ذلك الوقت، سقط سمير من نظرها كرجل، حتى أصبح لا وجود له في حياتها.

استمر الوضع كما هو، حتى تطورت الأحداث مع صديقه أيمن. فقد أصبح سمير يدعوه يومًا بعد يوم إلى المنزل لتناول الغداء معهم. عاتبته لطيفة بضيق، وقالت له:

_ ألا يكفيك اصطحابك له معنا أيام العطلة الأسبوعية؟

لم يعِرها سمير اهتمامًا، وتجاهل عتابها، ونظر إليها باستنكار. كانت لطيفة في بداية الأمر تنفر من وجود أيمن، وتشعر بالتذمر والغضب، ولكن حدثت الكارثة، فمع تعدد اللقاءات، أصبحت تنتبه إلى خفة ظل أيمن، وثقافته العالية، وأناقته، وشهامته، ونخوته، وأسلوبه المهذب، وهدوئه، ووقاره، وتربيته الراقية. ولفت نظرها أيضًا مدحه الدائم في رقتها، وأناقتها، وعطرها الرائع، ولذة طعامها الذي لم يأكل في جماله من قبل، فأصبح يرضي غرورها، ويشعرها بأنوثتها، خاصةً وقتما تعارك في المقهى مع أحد الرجال لأنه اصطدم بكتفها أثناء مروره بجانبها، ومرة أخرى ضرب رجلًا على الطاولة المجاورة لهم بسبب إشاراته غير اللائقة نحوها، وتشاجر في يومٍ آخر مع مطرب المقهى حينما غمز لها بعينه.

أصبحت لطيفة لا تتخيل يوم العطلة الأسبوعية دون أيمن، بل وتنتظر بفارغ الصبر زيارته لمنزلها ليتذوق الطعام الذي تعده إليه. وبدأت تشعر بمشاعر غريبة تدغدغ قلبها نحوه، ودون أن تشعر،

بادلته نظرات الإعجاب، وكأنها كانت تهرب إليه لتتأقلم مع واقعها. وحتى تجد مبررًا لحبها الخاطئ لأيمن، أخذت تقول لنفسها: "قد فرض سمير أيمن على حياتي، فلا بد أن أحب أيمن حتى أستطيع أن أتأقلم مع هذه الحياة الرتيبة المملة. كما أن سمير رجل بلا نخوة، فقد كان يريدني أتحدث بشكل سري مع صديقه فريد لاقتراض المال."

وهكذا ظلت تبحث لنفسها عن مبررات لتهوّن الأمر على ضميرها، ولتجد حجة معقولة لشعورها تجاه أيمن، ولكنها تعلم جيدًا في قرار نفسها أنه لا يوجد مبرر للخطأ.

مرت الشهور وهي تعيش قصة حبها السرية، وكانت قمة سعادتها وقتما يتواجد أيمن معها، وإن غاب عنها لأي ظرف، تجتاحها حالة من الضيق والحزن. ولكن حدث ما أزعجها، فقد علمت بأن أيمن ينوي الزواج من أميرة جارته، ولكن لم يكتمل الأمر. وهنا زاد اهتمام لطيفة بأيمن، وتبادلا أطراف الحديث الذي يحمل تلميحات إعجابهما ببعض:

"هذا القميص يليق عليك، هذا اللون رائع مع بشرتك، من يرن على هاتفك؟ افتح هاتفك لأرى رسائلك، ماذا تحب أن تأكل في الغد؟ رائعة حلاقة شعرك، بدلتك السوداء في منتهى الأناقة، دعني أختار لك رباط العنق."

وكان أيمن أيضًا يبادلها التلميحات: "جميل جدًّا عطرك، حقيبتك مبهجة، شعرك رائع، بشرتك مشرقة وناعمة، بعينيكِ

جاذبية لا توصف، ملابسك أنيقة، ما أجمل براءة ملامحك، طعامك لذيذ، الشاي من يديكِ له مذاق مختلف، لون أحمر الشفاه مثير".

لاحظ سمير إعجاب أيمن بزوجته، فبدأ في استغلاله واقتراض المال منه دون سداد.

لطيفة امرأة ذكية، وانتبهت لغرض وخطة سمير عديم الشرف. فأخذت تنهر نفسها قائلة: "ما هذا العبث واللعب من وراء الكواليس؟"

وفي ليلة قمرها دموي شعرت لطيفة باليأس والإحباط، وقفت أمامه تحدثه: "أنا زوجة لرجل جاف وأحمق، ويلعب القمار، ويستمع للآخرين، ويضربني لأتفه الأسباب، وعديم الشرف والنخوة، ويقبل أي شيء من أجل المال. فلماذا إذًا ما زلت زوجته حتى الآن؟"

قررت لطيفة أن تقف وقفة حاسمة مع نفسها، وسألتها: "هل سمير المنحرف الفاسد سيتسبب في أنني أغضب ربي؟"

ثم أجابت على نفسها بحدة وصرامة: "لا.. لا، فهذه التي بدأت في الانحراف ليست أنا."

ثم أخذت قرارها في الحال، وكما أصرت لطيفة على الزواج من سمير، أصرت أيضًا على الطلاق منه.

ذهبت إلى والدها أولًا، وقالت له:

- أريد الطلاق من سمير.

قال لها والدها:

- لم أكن موافقًا على هذا الفاسد المستهتر، ولكن أنتِ أردتِ، والآن تريدين الطلاق منه؟ افعلي ما يحلو لكِ، فهو عديم النخوة، وأنا أكرهه منذ البداية.

تشجعت لطيفة بموافقة والدها، ولم ينجح تدخل الأهل والأصدقاء في إقناعها بالتراجع، فهذه كانت أول حالة طلاق في تاريخ العائلة، ولكن لطيفة لم تهتم بتلك الثرثرة الفارغة. ولم تشفع دموع سمير لتسامحه، بل شعرت بالانتصار عليه. تحدث معها سمير قائلًا:

- لن أطلقك قبل أن تتنازلي عن كل حقوقك.

ردت لطيفة بكبرياء:

- موافقة على أي شيء حتى أخلص منك.

وبالرغم من اعتراض والدها على هذا التنازل، ولكنها وافقت فقط حتى تحصل على حريتها.

سألها والدها:

- ما خطتك في الأيام القادمة؟

فأجابته:

- أنا لا زلت أفكر، وأريد بعضًا من الوقت حتى أهدأ، وأسترد ثقتي بنفسي، ثم سأبدأ في البحث عن عمل يناسبني، وأنا لن يشغلني

سوى تربية ابنتي زهرة في جو مناسب خالٍ من الفوضى، وأن لقب مطلقة لا يقلقني.

ثم دخلت غرفتها، وبدأت تضحك وتهذي وهي ترفرف بيديها كالطائر الحر، قائلة: "آه، ما أجمل هذا الشعور، فلقد أصبحت أخيرًا حرة، وانحل أسري من سجن سمير الفاسد."

أيقنت لطيفة أن وجودها مع الملكة صفية في منزل واحد أرحم بكثير من الحياة مع سمير.

والغريب، أن في هذا التوقيت حاول أيمن مرارًا وتكرارًا أن يتحدث إليها، فلم ترد عليه، وغيرت رقم هاتفها.

أدركت لطيفة خطأها قبل فوات الأوان، وحمدت الله سبحانه وتعالى على أنها تطهرت أخيرًا من البيئة الفاسدة، وتأكدت أن من يقبل بالبقاء بجانب المستنقع فحتمًا سيتلطخ يومًا بالوحل.

الفصل الثاني
محاولة حياة

بعد شهور، تزوج سمير من غادة، إحدى صديقاته على طاولة القمار. فغادة امرأة مماثلة له في الأخلاق، فكانت تشرب الخمر، وتجاريه في لعب القمار، وتستضيف أصدقاءه في المنزل، وتقوم بعمل حفلات كلها عربدة وخروج عن الشرع والقيم. وكان ذلك على هوى سمير، فهي من وجهة نظره امرأة عصرية وإجتماعية.

بعد شهور قليلة بدأت تشتعل المشاكل بينهما، فأذاعت غادة عنه لكل معارفهم: "سمير مستهتر، لا يصلح للزواج، ولا يقف موقف رجال وقت الحاجة، وغير قادر على حمل المسؤولية كاملة، بل ويطلب مني توفير المال له بأي طريقة."

ثم أشارت إلى أنه لا يشبع رغباتها قائلة: "هو لا يهتم إلا بلعب القمار، وأنا أريد رجلًا يشعرني بأنوثتي، فسمير لا يحمل من معالم الرجولة إلا مظهره وملابسه." وأذاعت عنه الكثير من الفضائح المخجلة التي كانت تثبت أن لطيفة كانت على حق.

تقدم حازم للزواج من لطيفة، وهو أحد أصدقاء ابن عمها توحيد، ورآها أثناء زيارتها له. فهو متزوج وله أبناء، ولهذا ترددت لطيفة في الموافقة على الزواج منه. شعر حازم بقلقها، فتعهد لها بإعلان زواجهما. ولكن لطيفة ظلت حائرة وقلقة. وهنا أراد حازم أن يحسم الأمر ليطمئن قلبها، فاصطحب معه يوم الخطبة بعض أفراد عائلته، وأهمهم زوجته نهى وأبناؤه الثلاثة. قدمهم إليها قائلًا:

– نهى زوجتي وأم أبنائي، سيف ومازن وحياة.

فقالت لطيفة:

– أهلًا ومرحبًا بكم.

ردت نهى:

_ مرحبًا يا لطيفة، وألف مبارك الخطبة، وربنا يتمم بخير.

ردت لطيفة:

– الله يبارك فيكِ، اطمأن قلبي برؤيتك.

ردت نهى بوجه بشوش:

_ لا اعتراض على شرع الله، وسنكون أسرة واحدة.

فقال حازم وهو يبتسم:

– وأنا سأعدل بينكما وأتقي الله فيكما.

تعجبت لطيفة من هذا الحوار الملائكي ولم تصدقه، فملامح نهى توحي بأنها امرأة متسلطة وقوية. ولكنها حاولت ألا تعير الأمر اهتمامًا، فلا مانع، فهي تريد أن تبدأ حياة مستقرة خالية من الصخب. كما أنها رأت في حازم الرجل الجاد المستقيم الذي لا يكذب، فقد أخبرها أنه سيعلن زواجهما، كما أنها ليست سببًا في قراره، فهو ينوي على الزواج قبل أن يراها. وسواء زوجته نهى رفضت أو وافقت، فلن يغير من الأمر شيئًا.

فسألته لطيفة:

– وما سبب موافقة زوجتك؟

أجابها:

– لقد أخطأت في حقي وادعت عليّ الكذب أمورًا مخجلة، وأن زواجه سيعيد له اعتباره على الأقل أمام نفسه.

فسألته:

– وما الذي ادعته عليك؟

فقال لها:

– فكري معي في المستقبل، ولا تنشغلي بالماضي، فأنا لا أريد التحدث في الأمر.

ولكن لطيفة ألحت عليه، فقال لها:

– إنها تعاني من فقدان الثقة بالنفس وتشعر بالنقص، فحاولت أن تقلل من قدري ورجولتي أمام بعض أفراد عائلتي وبعض الأصدقاء، ونتيجة لذلك أقسمت أنني سأتزوج، وهي لم تعارض.

ثم طلب منها ألا تسأله عن تفاصيل أخرى، وفيما بعد سيخبرها بكل شيء.

لم تقتنع لطيفة بكلامه، ولكنها وجدت نفسها ليست طرفًا في الأمر، فصمتت.

لم تنكر لطيفة أن حازم كان رقيق المعاملة، جميل العشرة، وأنها وجدت معه ضالتها، وعاشت معه عدة أعوام في هدوء وسلام واستقرار.

ولكن حدث ما لم تحسب له، فقد قرر حازم فجأة السفر لإحدى الدول الأوروبية، وصمم أن ترافقه. ولكن ابنتها زهرة قطعة من روحها، فكيف ستتركها لجدتها وتسافر هي مع زوجها؟ وحدث هنا الخلاف بينهما، فقالت له:

– كل رجال العالم في كفة، وابنتي في كفة أخرى.

وبالرغم من تعلق زهرة بجدتها كثيرًا، فلم يكن هذا دافعًا مناسبًا لموافقة لطيفة. وتفاقم الأمر بينها وبين حازم إلى حدٍ كبير، فحاولت أن تجد حلًا، فقالت له بنبرة هادئة:

– خذ نهى وأبناءك معك، وأنا سأنتظرك تعود إليّ كل عدة أشهر.

رد حازم عليها قائلًا:

– أبنائي في مراحل تعليمية مختلفة، ويصعب في الوقت الحالي ترتيب أمورهم. نهى وأبنائي سيبقون هنا، وأنا سأعود كل عدة أشهر لرعايتهم وترتيب مصالحهم. وأنتِ ستأتين معي، ولن أذهب بدونك.

فسألته:

– وماذا عن زهرة ابنتي؟

فقال لها:

– اتركيها مع والدتك لبعض الشهور، وسوف أرسل لأستقدامها بأسرع وقت ممكن.

وفي ليلة قمرها دموي، علمت لطيفة بالصدفة من زوجة توحيد ابن عمها، أن حازم حتى يرضي زوجته نهى ويأخذ موافقتها على زواجه للمرة الثانية، كتب لها عقد مبايعة بالمنزل الذي تسكنه، واشترى لها سيارة حديثة باسمها، وأضاف لحسابها في البنك رصيدًا ضخمًا يضمن لها مستقبلًا مضمونًا وحياة مستقرة.

ففهمت لطيفة الصفقة الناجحة التي تمت بينهما: هي توافق على زواجه بمقابل مادي ضخم، وهو يتزوج ويحقق غريزته الرجولية بوجود امرأتين معه.

هنا أدركت لطيفة لماذا باركت نهى زواجهما، وحضرت حفل زفافهما، فقد كانت تحتفل معهما بانتصارها المادي الهائل. فحازم بالنسبة لها لم يكن سوى خزنة أموال، فلو كانت تحبه بصدق، لما تنازلت عنه وتركته لها مقابل المال.

قهقهت لطيفة، وقالت في سخرية:

"لو كنت مكانها، لم أكن سأذهب للعرس فقط، بل كنت رقصت لهما دون تردد."

هنا أدركت لطيفة أنها الطرف الخسران في هذه الصفقة، وأن حازم، دفع ثمن تحقيق رغبته في الزواج منها، مع استمرار وجود نهى زوجة رسمية للاحتفاظ بأبنائه معه. وبمواجهته، زادت الخلافات بينهما حتى قررت لطيفة أن تنفصل عنه بهدوء. ولكن حازم تحول إلى النقيض، فلم يعد حازم الخلوق، بل أصبح كالوحش

الكاسر، لا يعي ما يقول. فأصبح يتحدث عنها بسوء مع الجميع. واتهمها بغضب قائلًا لها:

_ أنتِ امرأة مستهترة، لا تتحملين أدنى مسؤولية، ولا تطيعينني، وأنا زوجك، ولي عليكِ حق الطاعة، وأنتِ لا تهتمين لأجلي، وكل تفكيرك منحصر في المال فقط.

نظرت لطيفة إليه وهي في حالة ذهول من وقاحته، ثم سألته:

_ هل أنا التي لا أفكر إلا في المال فقط؟ أنت بالفعل اشتريتني بثمن مرتفع، ولكن زوجتك نهى هي التي قبضت الثمن، وليست أنا.

ثم تركته ودخلت إلى غرفتها، وأخذت تتساءل:

_ هل هذا الرجل الكاذب الوقح هو حازم زوجي؟ لا، إنه شخص لم أره من قبل.

ومما خفف الصدمة عليها أنها لم تستطع أن تحبه أبدًا، ولم تعش معه الحياة التي حلمت بها مع رجل تعشقه. ولكن كانت استقامته وحسن عشرته يهونان عليها الأمر. ودائمًا كانت تتذكر مقولة الجدة صفية: "إن القسمة والنصيب لا مفر منهما".

وكانت تواسي نفسها بتذكر الأوقات الجيدة معه، ويكفي شعورها بالاستقرار والأمان. ولكن للأسف، بعد ما رأته يكثر الكلام والهراء كالنساء الثرثارة، أصبحت تكرهه، وصممت على الفراق مهما كانت الخسائر، وتم الانفصال عنه بعدما اضطرت إلى اللجوء

للقضاء بعد أن سافر وتركها لتعيد التفكير. وعندما علم أنها خلعته، هاج وماج وهددها بالقتل، ولكنها لم تهتم لخرافاته وسخفِه.

وفي هذا التوقيت كثرت المشاكل بينها وبين أفراد عائلتها، واتهموها بالاستهتار واللامبالاة والتسرع في اتخاذ القرارات. إنهم لا يشعرون بمرار ما تشعر به. حتى أختها الوحيدة داليا، الأكبر منها بتسع سنوات، هاجرت مع زوجها منذ سنوات، ولا وقت عندها لسماعها، فعملها كطبيبة يأخذ كل وقتها. وكان للطيفة عم على المعاش، يعيش وحيدًا بمنزله، فقد توفيت زوجته، ولم ينجب منها أبناء. وفي إحدى زياراته لهم عرض على لطيفة عرضًا مغريًا، فقال لها:

_ تعالي للعيش معي في منزلي بدلًا من العيش بمفردي.

وكأن طلبه كان بمثابة نجدة لها، فقالت له:

_ حالًا يا عمي، سوف أعد حقائبي وأمشي معك.

فرح عمها، وقال لها:

_ سأنتظرك حتى تنتهي.

ردت أم لطيفة:

_ ابنتي لن تتركني وتذهب.

لطيفة بضيق:

_ لا، سأذهب مع عمي يا أمي.

والدتها بعصبية:

_ لا يا لطيفة، ستبقين هنا.

تدخل والدها قائلًا:

_ يا لطيفة، يا ابنتي، أنا ما زلت على قيد الحياة.

فقالت لطيفة:

_ ربنا يبارك في عمرك يا أبي، ولكن أنا مصممة على العيش مع عمي.

وبالفعل، مشت مع عمها، وعاشت في بيته سنوات عديدة شعرت فيهم بالاستقرار والأمان التام، لدرجة أنها لم تفكر في الزواج مطلقًا. فعمها دائمًا يجلس مع أصدقائه في المقهى الذي تحت منزله، أو يجلس في غرفته يشاهد التلفاز. وكان يتركها تفعل ما تشاء دون أي تدخل منه، فكانت تستضيف صديقاتها وقتما تشاء، وتخرج للنزهة وقتما أحبَّت.

مر الوقت، وكبرت ابنتها زهرة، وأصبحت فتاة جميلة تأخذ العقل.

وجاء الوقت الذي شعر عمها فيه باقتراب الرحيل، فقال لها:

_ يا لطيفة، لقد كتبت لكِ كل رصيدي في المصرف البنكي كوديعة تعينك على نفقات المعيشة، ونقلت ملكية المنزل إليكِ لحمايتك من تقلبات الزمن.

لطيفة وهي تبكي:

_ يا عمي، أنت أغلى عندي من كل أموال العالم، وإن شاء الله سيتم شفاؤك على خير.

ولكن كأن ما فعله عمها أشعل النار في الهشيم، فثار عليه إخوته ووبخوه، فقد كانوا في انتظار وفاته ليرثوا منزله وأمواله. ولكنهم مع الوقت وجدوا أن لا فائدة من العراك معه، حتى إنهم قرروا مقاطعته، ولم يحضروا مراسم العزاء.

جلست لطيفة تبكي وتفكر في مرار الجشع والطمع، وكيف أن المال أهم من حياة الإنسان. بقيت لطيفة وحدها في منزلها، ومعها زهرة ابنتها، فطلب منها والدها قائلًا:

_ اغلقي منزلك أو اعرضيه للإيجار وعودي للعيش معنا، فلا يصح العيش هنا بمفردك.

فثارت كالفرس الجامح، ولكنها تمالكت أعصابها، وقالت له بهدوء مصطنع:

_ لن أترك منزلي يا أبي، فأنا أريد أن أعيش وحدي مع ابنتي.

ثم سألت نفسها ساخرة: ما هذه الأوامر الاستفزازية؟ وهل يُعقل أن أعود للعيش معهم مرة أخرى بعد أن أصبحت حرة؟

ثم أخذت تضحك وتبكي بهيستيريا كعادتها، وقالت لنفسها:

_ الأمر فقط سيأخذ بعض الوقت حتى يعتادوا على قراري.

الفصل الثالث

الخديعة

بدأت لطيفة عهدًا جديدًا مع نفسها، ولكن سمير لم يتركها في حالها. فبعد تفاقم المشاكل والفضائح المخجلة التي وصلت إلى المحاكم بينه وبين زوجته غادة، بعد أن ضربها على رأسها بزجاجة الخمر التي كانت تسكر منها بعد اكتشافه خيانتها له، حاول العودة مجددًا إلى حياته السابقة، متخيلًا أن لطيفة ستضعف وتعود إليه، ولكنها واجهته بأنه لا يمثل الرجولة في عينيها، فبدأ يستخدم رؤية ابنته زهرة ذريعة لمضايقتها، إلا أنها كانت دائمًا تعنفه وتواجهه بإهانات لاذعة تفضح انحطاط أخلاقه وعدم استحقاقه للاحترام. ومع ذلك، كان يقبل تلك الإهانات دون اكتراث، فيبدو أنه اعتاد على الإهانة، مما زاد من غضبها وضيقها بسبب تصرفاته السمجاء وثقل دمه.

وحتى تهدأ لطيفة، فقد اعتادت الجلوس بجانب النافذة تشرب قهوتها وهي تداعب القمر، لعلها تشعر بالاسترخاء وتستمتع بلحظة من الهدوء بعيدًا عن ضجيج اليوم. وكانت كل رشفة من القهوة تعيد لها الذكريات، حلوها ومرها. وكانت أسعد ليلاتها عندما يكون القمر بدرًا، فكانت تمعن النظر إليه وتبتسم له، وتناغشه وهي تحتسي قهوتها بشغف ونهم العشاق.

كان يسيطر القلق على لطيفة، ولا يغمض لها جفن، ويرجف قلبها من الخوف عندما يظهر القمر باللون الدموي، وكانت لا تعلم سببًا لهذه الحالة.

قررت لطيفة الخروج من عزلتها عن طريق البحث عن عمل، وبعد البحث الجاد وجدت عملًا في شركة مرموقة، واستلمت العمل في الحال.

كانت لطيفة تلتزم بمواعيد الحضور والانصراف، وتعمل بجدية، وتحترم زملاءها، وتستقبل العملاء بابتسامة بشوشة، وتعاملهم بسعة رحب، فأصبحت محل تقدير الجميع.

عاصم، هو صاحب الشركة، وكان يديرها بحسم وحزم دون أن يفقد إنسانيته في التعامل مع موظفيه، ودائمًا يقدم لهم الدعم والتوجيه، ولهذا كان محبوبًا منهم جميعًا، ولا شك أنه بحسن إدارته استطاعت الشركة تحقيق نجاحات كبيرة. وكان شديد الإعجاب بلطيفة، فكان يجد فيها نموذجًا رائعًا للالتزام والعمل الجاد.

حاتم، أحد أبرز العملاء الجدد المميزين، الذي زعم أنه يتولى أحد المناصب المهمة، وكان يمتاز بالذكاء الحاد والاجتهاد في العمل بشكل دائم لتحقيق الهدف الذي يريد الوصول إليه. وقد كان يتميز بالذوق الرفيع ولباقة الحديث، ويمتلك فن اختيار الملابس المهندمة، فقد كان يعرف كيف يظهر بمظهر ملفت وأنيق. وكان يتميز بملامح رجولية حادة، فأنفه المستقيم، وابتسامته الطفيفة، وعيونه السوداء اللامعة، وبشرته المشرقة، وشعر رأسه الأسود الداكن الذي يخالطه خصلات من الشيب الفضي اللامع التي زادته وقارًا وأناقة، مما زاد من جاذبيته وتألقه.

كل هذه صفات تعكس اهتمامه الشديد بنفسه وشخصيته الواثقة والمتوازنة. وكان له ذوقٌ مختلف في اختيار الحذاء المناسب لملابسه، ودائمًا يضيف إلى ياقة وأساور القميص بعض الإكسسوارات العتيقة التي تضيف لإطلالته لمسة كلاسيكية قديمة، توحي لمن ينظر إليه أنه قد خرج للتو من شاشة السينما من عرض فيلم إنجليزي قديم يحكي عن حياة الأمراء والنبلاء.

كان الموظفون، ولطيفة على وجه الخصوص، يتعجبون من مظهره الغريب نوعًا ما، ولكن لطيفة لا شك أنها كانت مبهورةً به، وبلباقة حديثه، ورقي أسلوبه، وبإيماءات وجهه التي توحي بالعظمة والكبرياء.

ومنذ أن لمح حاتم لطيفة، وهو متيم بها، فقد سلبت عقله من أول وهلة، فلفتت نظره بخصلات شعرها الأسود الداكن المنسابة على ظهرها، وبشرتها الخمريّة المائلة إلى البياض، وأسرته نظرة عينيها البريئة الناعسة، التي تجمع بين الحور والرومانسية والدلال الأنثوي. كما لفت انتباهه زينتها الخفيفة التي تميل إلى الطبيعة، وكأنها امرأة أتت من الزمن الجميل. وفي كل مرة يأتي إلى الشركة، كان يتجاذب معها أطراف الحديث الشيّق. وعلى الرغم من إعجابها الشديد به، اختارت أن تتجنب دعوته لها على الغداء، وطلبت منه تأجيل اللقاء إلى وقت لاحق.

كان الجميع يُلقبونه بحاتم بك أو الجنرال حاتم، ويحترمونه بدرجة ملفتة للنظر، حيث كانوا يتهامسون بينهم حول سيارته الفارهة السوداء، وساعته الروليكس الفاخرة المرصعة بفصوص الألماس، ودبوس بدلته البلاتيني، وسبحته اللؤلؤية السوداء البراقة.

الغريب في الأمر، عندما كانت ترى لطيفة حاتم يمسك بسبحته من الياقوت ذي اللون الأحمر الداكن، الذي كان يلمع ويتوهج تحت الضوء، كانت تشعر بقشعريرة، إذ كانت هذه القطعة تذكرها بلون القمر في الأوقات التي يبدو أحمرَ مثل الدماء، وهو المنظر الذي يملأ قلبها بالخوف والقلق.

كان يؤرق لطيفة تعرضها الدائم للطمع من بعض الرجال الذين لا ضمير لهم، وجاء اليوم الذي قررت فيه لطيفة مواجهة ماهر، زوج صديقتها هدى، الذي بدأ يغازلها بشكل صريح وواضح، بل وصل به الأمر إلى الاعتراف لها بحبه دون أي تردد، على الرغم من زواجه من هدى بعد قصة حب حقيقية جمعتهما.

قالت له لطيفة بكل هدوء وبنبرة حادة:

_ ابتعد عني واتركني وشأني، وتذكر أنك زوج صديقتي المقربة التي ضحت بالكثير من أجل الزواج منك، وتحملت إهانات زوجتك الأولى لها.

استهزأ ماهر بكلامها وكأنه يريد أن يثبت لها أنه حر في مشاعره، قائلًا لها:

_ أنا لا أحب هدى ولا أكرهها، فهي امرأة مهملة تقضي معظم أوقاتها ما بين النادي وبين زيارات الأهل أو الأصدقاء، وكل ما يعنيها هو شراء كل ما تراه في بيوت صديقاتها، حتى وإن لم تكن في حاجة إليه، فهي تافهة وتحب التصنع والمبالغة في المظاهر.

ردت عليه لطيفة بحزم:

_ لا تتحدث عن صديقتي بهذه الطريقة، فهي بالفعل أخطأت وقتما قبلت الزواج منك وضحت من أجلك.

فقال لها:

_ ليتها ما أخطأت ولا ضحت، ولا قبلت، فأنا أحبك أنتِ، وقلبي يدق كلما أراكِ، ويا ليتني رأيتك قبلها.

أغلقت لطيفة الهاتف بعد أن حذرته من الاتصال بها مرة أخرى. ولكنه لم ييأس وبدأ يتصرف كالمراهقين، مرسلًا لها الأغاني الرومانسية، والرسائل العاطفية الملتهبة، والورد الأحمر، والشوكولاتة الفاخرة إلى منزلها، في محاولة يائسة لاستمالتها.

أصبحت لطيفة تفكر مليًا في هذا الموقف المحرج والمؤلم، وتشعر بالحزن والضيق لأنها تعرضت لمواقف مماثلة مع رجال آخرين، بعضهم كانوا غرباء عنها، والبعض الآخر أزواجًا لإحدى الصديقات أو إحدى الجارات، وكانت دائمًا تتصدى بكل صرامة وحزم لمن يتجاوز حدوده معها، وفي بعض الأحيان تفضل التظاهر بعدم الفهم لتجنب المشاكل والمواجهات الصعبة.

شعرت لطيفة بمرارة الضعف وبالألم العميق لأنها أصبحت تبدو هدفًا سهلًا في أعين أصحاب القلوب المريضة.

وجاء ماهر ليزيد تلك المنغصات، وكان بإمكانها التجاهل، ولكنها كأي أنثى يرتجل فكرها، قررت التحدث إلى حاتم وحكت له كل ما حدث من ماهر، فثار، وقال لها:

_ تحدثي إلى هدى واحكي لها كل ما حدث منه.

ولكن لطيفة شعرت بالقلق، وقالت له:

_ العواقب ستكون وخيمة وستشتعل المشاكل.

ولكن حضرة الجنرال حاتم أمرها أن تنفذ أوامره، وفرض سطوته وسلطته عليها. وهي، بدلال أنثى تشتاق إلى الاهتمام، شعرت بانتشاء عندما لمحت الغيرة في عينيه الماكرة، وفعلت ما أمرها به، وقد كان.

ثارت هدى، المطعونة في أنوثتها، قائلة لها:

_ زوجي بريء، وأنه يتهمك أنكِ أنتِ من تغازلينه وتحاولين لفت نظره إليكِ.

انفعلت لطيفة عليها، وقالت لها:

_ اتصالات زوجك بي ما زالت مسجلة على هاتفي، وليس هناك أي اتصال مني على هاتفه، ورسائله الملتهبة لي ما زالت على الذاكرة، وعدم ردي عليها إثبات كافٍ على كذبه.

تحولت هدى إلى عدو شرس بعد أن استحوذت الغيرة على قلبها، فقررت الانتقام من لطيفة بنشر إشاعات كاذبة عنها، وطلبت من ابن خالتها سامر، الذي انفصل عن زوجته مؤخرًا، أن يتهم لطيفة بعلاقة غير شرعية معه.

واستغلت هدى علاقتها بطليقة سامر، التي كانت تسكن بجوار لطيفة، لنشر هذا الاتهام الخطير، فتذكرت لطيفة نصيحة أدهم القديمة لها منذ سنوات طوال بالابتعاد عن هدى لأنه لا يرتاح إليها. فقالت في عقلها: "يا لك من ثعلب يا أدهم، تكشف الغادرين أمثالك!" ولم تجد لطيفة مفرًا من اللجوء إلى حاتم لينقذها من هذه الورطة، خصوصًا أنه كان السبب في هذه المشاكل بنصيحته المنحوسة.

وبالفعل، تدخل حاتم وأوقف الاتهامات عند حدها، وأعلن لهدى قائلًا:

_ لطيفة خطيبتي، ولن أسمح لأحد بالاقتراب منها أو مضايقتها، وسامر سأعرف كيف أجعله يندم على فعلته، وزوجك ماهر له معي نصيب.

وهنا شعرت لطيفة بمشاعر متضاربة بين الخطر والفرح، وأدركت أن تصرفاتها الطائشة هي التي أوصلتها لهذا المأزق.

قضت ليلتها في الصلاة والدعاء والابتهال إلى الله، أن ينتقم لها من سامر وينقذها من كل فاسد. وفي تلك الليلة، وقعت حادثة غير متوقعة، فقد تعرض سامر لحادث أليم وتوفي على أثره.

رأت لطيفة في هذا الحادث نصرة من الله لها، واعتبرته ردًا على الظلم الذي تعرضت له منه، فقد حاول تشويه سمعتها دون وجه حق.

وهنا بدأت قصتها مع الجنرال حاتم، كما يسمونه.

بدأت قصة كفاح لطيفة مع حاتم، الذي ادعى أنه منفصل عن زوجته، وبناءً على ذلك، ذهب إلى أهلها وطلب يدها للزواج. ولإقناع أهلها، أخبرتهم لطيفة، بالكذب، أنه قريب مديرها عاصم في العمل، وأنه من عائلة معروفة ومرموقة.

تمت الخطبة، وكان حاتم يظهر أمام الجميع بمظهر الرجل الرزين والمهذب، بفضل وقاره ولباقته وهداياه الأنيقة. ولكن، رغم كل هذا، كانت لطيفة تشعر بشيء من عدم الارتياح، فقد بدا لها حاتم مضطربًا وتصرفاته غير مريحة، وكان شديد الغيرة والشك، مما زاد من قلقها وترددها.

كان يطلب منها باستمرار أن تقسم له أنها لا تخفي عنه شيئًا من الماضي، وإن وجدها تسمع أغنية تحبها، يتهمها بتذكيرها بحبيب سابق تخفي قصته عنه. بل وأصبح يفرض سيطرته عليها بشدة، حتى منعها من مشاهدة بعض البرامج والأفلام والمسلسلات، وكان هو من يحدد لها ما تشاهده. ومنعها من فتح النافذة حتى لا يتلصص عليها أحد الجيران، وأجبرها على طاعته وتنفيذ أوامره، فبدأت تشعر بالخوف والقلق منه أكثر، خاصة مع ازدياد نظراته الحادة وتصرفاته الغريبة، مثل تكرار تحريكه الدائم لزرار قميصه الأعلى بعصبية وكأنه يختنق، وعندما طلبت لطيفة منه أن يترك زرار القميص مفتوحًا حتى يتنفس، رفض وثار عليها بدون مبرر.

وازداد قلقها منه يومًا بعد يوم، خاصةً بعد أن اشترى هاتفًا جديدًا وقدمه لها كهدية، ولكنه ربطه أولًا بهاتفه ليتجسس عليها ويعرف كل أخبارها. ولكنها اكتشفت الأمر بعد أن وجدته يعرف كل أخبارها، وعنده علم بكل محادثاتها، فشكت في أمر الهاتف، فذهبت إلى أحد المتخصصين الذي كشف الأمر وضبط لها الهاتف.

حينها علم حاتم أنها كشفته، فطلب مقابلتها، ثم طلب منها أن يرى هاتفها، فرفضت ولم تواجهه، واكتفت بالنظر إليه باستياء، فابتسم لها بخبث وكأنه يريدها أن تفهم أنه لن ييأس، وأن لديه أكثر من طريقة يصل بها إلى غايته.

ولم تنتهِ المشاكل بينهما عند هذا الحد، فوجدت لطيفة أنه ما زال على علم بكل أخبارها ومحادثاتها لدرجة جعلتها في حالة من الجنون، فقد كان يسمعها أيضًا داخل منزلها من جهاز تنصت وضعه لها داخل راديو أعطاه لها كهدية. وبعد البحث بعناء، شكت في أمر الراديو، فوضعته في حوض الماء لتخريبه، وما إن فعلت هذا حتى ثار حاتم واتصل بها قائلًا لها:

_ ألا تخجلي من أخطائك وأفعالك التي تحاولين إخفاءها عني؟ ولهذا دائمًا تبحثين عن الأدوات التي أستخدمها لحمايتك حتى تفسديها؟ سأجعلك تشعرين بالندم على أفعالك، فأنتِ امرأة لا تُؤتمن.

فاغتاظت لطيفة واشتعل غضبها وقالت له:

_ أتقول عن مراقبتك لي وتجسسك على حياتي الخاصة حماية؟ يا لوقاحتك وجنونك، من الآن، أنت غريب عني، وخطبتنا المسمومة قد انتهت، فلا أريد رؤيتك مرة أخرى، وإلا أنا من سأجعلك تندم.

ثم أغلقت هاتفها في وجهه، فحاول الاتصال بها عدة مرات فلم تُجب، وشعرت بحالة من الإحباط واليأس، فكانت تقضي كل الوقت وحيدة وتبكي على حالها.

وذات ليلة، رن جرس الباب، ففتحت فوجدت جارتها "سما" تخبرها:

_ لقد رأيت "حاتم" يقف بسيارته بعيدًا عن المنزل، ويراقب شرفتك ونافذتك من خلال منظار مكبّر ومقرّب للأماكن، فأخبريه أن هذا لا يصح ولا يليق، فهو بذلك لا يراكِ وحدك، بل يكشف بيوتنا جميعًا، وإن علم زوجي بهذا سيتسع الأمر وقد يضربه.

اعتذرت لها لطيفة، وأخبرتها أنها فسخت الخطبة، ووعدتها بحل الأمر.

احتارت لطيفة ماذا تفعل مع هذا الشخص الغريب الأطوار، الذي خرب عليها حياتها، وجعلها في حالة دائمة من التوتر والضيق؟ حتى كل صديقاتها ابتعدن عنها، خائفات من هذا الرجل الغامض الذي اقتحم حياتهن، وعلم بكل أسرارهن من خلال تلصصه عليها،

خصوصًا "ريهام" أعز صديقاتها، التي أقسم حاتم على لطيفة أن تقطع علاقتها بها، فهي ما زالت تعشق خطيبها السابق، وأنها غير قادرة على محبة زوجها "أمجد" الذي تكره جفاء حضوره وبرود مشاعره، و"صفاء" صديقتها المطلقة التي تعشق رجلًا يلعب بمشاعرها، ويتهرب من الزواج منها، ويتلاعب بها عن طريق صورها التي أرسلتها له تحت مخدر وسكرة العشق، وجارتها "ناهد" التي تخلع حجابها وتلبسه عندما تقترب من المنزل، و"كوثر" صديقتها في العمل التي تحب "علاء" زميلها، وستطلب الطلاق من أجله، و"منال" التي تسرق المال من حقيبة زوجها، وتنزل ليلًا وهو نائم تفتش سيارته، و"عزة" التي تهين زوجها باستمرار، وتستهزئ منه، وتصفه بالخروف أو النطع، فهي من تُنفق عليه، وتشتري له علبة السجائر وهي في طريقها للعودة من العمل، بل ويأخذ منها المال، ويجبرها على الاقتراض من أصدقائها حتى يتعاطى المخدرات، وإن لم تفعل يجعل حياتها جحيمًا.

وبالطبع سمع حاتم كل هذه المحادثات التي أشعلت المشاكل بينهما، وأمرها بكل صرامة أن تقطع علاقتها بكل صديقاتها، وتترك عملها، وتعيش له فقط.

وللأسف نفذت لطيفة كل أوامره، ولكن ازدادت الأمور تعقيدًا، وأصبح يحاسبها حتى على نظراتها، ويسألها: لماذا نظرتِ إلى الوراء أو إلى جانبك؟ ثم يتهمها أنها نظرت بعين أحد الرجال، ثم يبدأ في التحقيق معها وكأنها متهمة في جريمة ما.

وفي أحد المواقف المماثلة نهرها، وأمسك حقيبتها، وأخذ يفتشها ويفتش هاتفها، وهي تبكي ولا تدري ماذا تفعل لترضيه، وما المخرج من هذا النكد المستمر.

تأثرت بالطبع "زهرة" ابنتها بكل ما حدث، خاصةً أن لطيفة كانت طوال الوقت خائفة وقلقة، وتقضي وقتها بين النوم والبكاء، ولم تعد تنتبه إلى احتياجاتها، وأهملت رعايتها متأثرة بمشاكلها مع حاتم التي لا تنتهي.

وذات صباح، رن جرس الباب، فنظرت من العين السحرية، فوجدته فهيم، حارس العقار، فتحت الباب:

_ أهلًا فيهم، خير؟

_ هناك شخص ما يقف دائمًا خلف الشجرة التي أمام المنزل، وعينه على نافذتك وعلى باب العقار، وعم جمال، جار سيادتك، أمسك به، وكاد يطلب له النجدة، لولا أنه اتصل بحاتم بك، خطيب سيادتك، وجاء وأخبرهم أنه يقف حماية لكِ، ولكن الجيران في حالة غضب من هذا التصرف.

فقالت له:

_ وهو كذلك، سأضع حدًا لما حدث منه.

وهنا فتح العم جمال باب منزله، واتجه إلى لطيفة، وعلامات الاستنكار على وجهه:

_ السلام عليكم يا ابنتي.

_ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا عمي، أنا أعتذر عما حدث، ولكنني فسخت خطبتي منه، وهو لا يتركني لحالي و...

قاطعها العم جمال وقال لها:

_ لا تكثري الكلام يا لطيفة، فهو رجل فاسد لا يصلح لكِ، وفي عينيه لؤم وخبث رجل سيئ الخُلق، ومراوغ، ولا أصل له ولا دين ولا أمانة، ولكن ما فعله أساء إلى سمعتك، وأنتِ تعيشين وحدك مع ابنتك، فيجب أن تحرصي على وضعك، خاصةً أننا جميعًا نشهد لكِ بحُسن الخُلق، ولكن لا نريد ترك مساحة لأحدهم يقول إنكِ لم تحسبي أفعالك بعد وفاة عمك.

خجلت لطيفة من نفسها، وقالت له:

= كلامك صحيح يا عمي، وسيكون لوالدي معه حساب ينهي به كل شيء.

هي تعلم أن حاتم يراقبها ليتأكد مما إذا كانت تترك النافذة مفتوحة أم لا، ويريد أن يعلم موعد خروجها من المنزل، أو من يأتي لزيارتها؟

وهنا قررت لطيفة أن تستعين بأحد أقاربها ليسأل عنه جيدًا، فهي لن تستطيع معاشرة هذا الخائن الغادر الماكر، فماذا سيفعل بها عندما تصبح زوجته؟ فهل سيزرع لها الكاميرات في كل أنحاء المنزل، وسيراقبها بالصوت والصورة؟

وكانت الصدمة الكبرى، فقد أخبرها قريبها إنه كاذب في كل شيء ما عدا اسمه، حتى إنه لا عمل له، وأن زوجته ما زالت على ذمته، واحتملت منه الخيانات وسوء الأفعال حتى أهملته، وأصبحت تقضي معظم أوقاتها في منزل عائلتها. وأن له سمعة سيئة، وأنه، وأنه، وأنه...

قالت لطيفة، وهي تشعر بدوار شديد وكأن قد سقط على رأسها حجر ضخم: "آه يا إلهي، ماذا سأفعل؟ وكيف سأواجه أهلي بتلك المصيبة الجديدة؟". ولكن قريبها أسقط هذا العناء من على عاتقها، فلم يكتم السر، وانتشر الخبر في العائلة، فأصبحت محط لومهم وعتابهم وتوبيخهم.

وقرر والدها أنه لن يتركها بمفردها مرة أخرى، ولكنها رفضت العودة معه. وكعادتها، صالت وجالت رافضة ترك منزلها. وهنا أخطأت لطيفة عندما قررت مواجهة حضرة الجنرال حاتم بحقيقته المخزية، فطلبت مقابلته، ركبت معه سيارته وقالت له:

_ من أنت؟

رد حاتم بنبرة تهديد:

_ أنا من سيكسر رأسك.

ثارت لطيفة وقالت له:

_ لقد علمت أنك كاذب ومخادع، وليس لديك عمل، ولست في منصب مرموق كما أخبرتنا، وزوجتك ما زالت معك ولكنها لم تعد تهتم لأمرك، حتى سيارتك التي أجلس بجانبك فيها الآن لا تملكها، أنت مريض بحب السلطة والكذب.

احمرّ وجه حاتم وانهال عليها بالضرب والاتهامات الحقيرة، وقال لها:

_ لقد تجاوزتِ حدودكِ، أنتِ ومن أخبركِ بهذه المعلومات الخاطئة، وسوف أضعه بالسجن ليتعلم الأدب.

حاولت لطيفة النزول من السيارة، ولكنه أمسك بها وقال لها:

_ اعترفي، من الذي أطلعكِ على هذه المعلومات؟

دفعته بقوة، وفتحت باب السيارة، وألقت نفسها على الأرض، وامتلأ جسمها بالجروح، وهربت منه، وخاف أن يلحق بها.

وهي لم تخبر أحدًا بما حدث، وأدركت كم أخطأت في حق نفسها، خصوصًا بعد أن أخبرها عاصم، مديرها في العمل، أنه اكتشف أن حاتم له سمعة سيئة، وكان يدّعي الرفعة والشرف، حتى أوراقه مزورة، والسيارة الفارهة مجرد إيجار، ثم لامها على ادعائها أن حاتم من أقاربه، فخجلت من نفسها، ولم تجد ردًا مناسبًا، واكتفت بالاعتذار.

وذات ليلة قمرية، فتحت لطيفة نافذتها ونظرت إلى القمر، فوجدته يبدو دموي اللون، فشعرت بالخوف والقلق.

وفجأة، دق جرس الباب، فنهضت مسرعة، ونظرت من العين السحرية، فوجدته "حاتم"، فذهبت مسرعة، ووضعت على كتفيها رداء، ثم فتحت الباب بسرعة قبل أن يلمحه أحد من الجيران:

_ نعم يا حاتم بك، كيف تجرؤ على الوقوف أمام باب منزلي في هذا الوقت المتأخر من الليل؟ يا عديم الأخلاق والضمير، هيا، انزل واغرب عن وجهي، وكفاكَ فضائح مخجلة.

دفعها حاتم بقوة إلى الداخل بيده التي يمسك فيها السبحة ذات حبات الياقوت الأحمر الداكن، والتي كانت لطيفة تخاف منها، ثم دخل إلى غرفتها وأخذ يفتش في دولابها وهاتفها، ويدقق النظر في أغراضها الخاصة. ثم نظر من النافذة لعله يرى أحدًا من الجيران يراقبها، ثم أغلقها بقوة، وقال لها:

_ يا مستهترة، تريدين فعل كل ما تشتهيه نفسك دون اعتبار لأي أصول، وتتركين النافذة مفتوحة وأنتِ جالسة بملابس النوم، ورسائل الحب والغرام التي على هاتفكِ من سمير، ومن حازم، ولا أعلم من غيرهم أيضًا، يا مخادعة، يا خائنة.

ثم أخذ يهز كتفها بشدة، وهي تبكي، فلم تشعر إلا وهي تضرب زجاج المرآة بيديها، فسال دمها على المرآة، وعلى صدرها، وعلى ملابسها، وعلى الأرض.

فتوتر حاتم، وحاول أن يضع المناشف الورقية على جرحها، ثم سألها عن وجود مطهر، فانفعلت عليه، ولم تشعر إلا وهي تدفعه خارج غرفتها بيدها الملطخة بالدماء، وطلبت منه الانصراف، وأخذت تدفعه نحو باب المنزل، ودمها يلطخ قميصه الأبيض الناصع، حتى أخرجته من الباب وهو في حالة ذهول، ثم رزعت الباب خلفه، وهي تقول له:

_ لا أريد رؤية وجهك الماكر مرة أخرى يا كاذب يا فاسد.

ثم جرت على النافذة وفتحتها، ونظرت إلى القمر الدموي، وكأنها تريد أن تسأله عن تفسير عما يحدث لها، فالسر عنده وحده. ثم كشفت له عن جرحها، وكأنها تريده أن يرى لون دمها الأحمر الداكن الذي يشبه لونه الدموي المخيف.

ثم وضعت رأسها على حافة النافذة، وأجهشت بالبكاء، فلمحت حاتم يقف تحت النافذة، وينظر إليها بغضب، فدخلت وأغلقت النافذة، ثم ألقت بنفسها على سريرها، وهي في حالة من الرعب والهذيان.

لم تتخلص لطيفة من حاتم إلا بعد معاناة كبيرة، والعديد من المناورات والمناوشات التي أجهدتها جسديًا وذهنيًا. وبالطبع كسرها شماتة حسادها التي تسببت في حسرتها.

وما زال حاتم يراقبها ولم ييأس، وهي تخفي رعبها منه في قلبها.

وخرجت لطيفة من التجربة بجرح جديد لن يندمل.

الفصل الرابع
قناع التقى

عاشت لطيفة حالة من الاكتئاب، فما حدث لها ليس بالقليل، وبدأت تحاسب نفسها على تسرعها الذي أوقعها في كل هذه المشاكل. وفي هذا التوقيت عاد حازم طليقها من السفر في إجازة قصيرة، وحاول أن يتحدث إليها ليقنعها بإعادة التفكير ولمّ الشمل مرة أخرى، ولكنها صدّته بكل حسم، فهي لم تحبه ولم تحزن على فراقه أبدًا.

حاولت لطيفة قطع كل الصلات المؤلمة، وقررت شراء خط هاتف جديد، ووضع حد للعلاقات السامة التي استنزفت طاقتها، كما عرضت منزلها للبيع، وعزمت على الانتقال إلى مكان جديد لا تعرف فيه أحدًا، حيث يمكنها أن تبدأ حياة جديدة بمعزل عن الأشخاص الذين تسببوا في ألمها وخيبتها، وبحثًا عن حياة خالية من الألم والخذلان، خصوصًا أنها لم تعد تستطيع مواجهة الأشخاص المحيطين بها بعد كل ما حدث لها.

واستعانت بالفعل بأحد المكاتب العقارية لمعاونتها، وبعد وقت قصير، اتصل بها صاحب مكتب العقارات وأخبرها بوجود مشترٍ يريد رؤية منزلها، فحددت لهم موعدًا للمعاينة، وطلبت من والدها الحضور حتى لا تكون بمفردها.

حضر الجميع في الموعد المتفق عليه، واستقبلتهم لطيفة بالترحاب، ولفت نظرها وقار الشاري، فلم يُطِل النظر إليها، وتكلم بلياقة تامة، ولم يُمعن النظر وهو يعاين غرف النوم، فقد كان ينظر إلى تفاصيل المنزل باستحياء، ويحمل في يده مسبحة من الفضة

النقية اللامعة، وكان يمرر بأصابعه حبات المسبحة واحدة تلو الأخرى لتتبع عدد التسبيحات، وكانت له لحية خفيفة نوعًا ما، وكانت رائحة العود الذكية تفوح من ملابسه المرتبة.

قدّمه صاحب مكتب العقار لهم:

_ الحاج سالم صاحب أكبر معارض للموبيليا في إحدى المحافظات، ويمتلك أكثر من عقار في أماكن مختلفة.

رد والدها:

_ مرحبًا بالحاج سالم.

لم تقل لطيفة شيئًا، وسألت نفسها في دهشة، لماذا هذا الرجل يريد شراء منزلها المتواضع، وهو يملك العديد من العقارات؟ فانتبه الحاج سالم لدهشتها، ففهم سريعًا ما يدور في رأسها، فنظر لها وقال:

_ أنا في حاجة إلى منزل بعيد عن عقاراتي المعروفة للجميع، لأجعله استراحة سرية لي عندما آتي من محافظتي دون أن أخبر أحدًا.

هزّت لطيفة رأسها، وقالت له:

_ مرحبًا بك عندنا.

ولكنه لم يستطع إقناع لطيفة بالسبب، ومن ناحية أخرى، هي أيضًا لم تهتم، وقالت في نفسها: "أن كل ما يهمني هو إتمام البيعة بالثمن الذي طلبته، ولا دخل لي في تفاصيل لا تعنيني."

مضى الحاج سالم على وعد إتمام البيعة خلال أسبوع واحد فقط. انتظرت لطيفة لأكثر من شهر، وليس هناك خبر عن الحاج سالم، ولم يتواصل معها ليتمم عملية الشراء. وبعد ثلاثة أشهر، تفاجأت باتصاله:

_ السلام عليكم، السيدة لطيفة، كيف حالك؟ أنا الحاج سالم.

ردّت لطيفة:

_ وعليكم السلام، خيرًا يا حاج سالم.

رد سالم:

_ أعتذر لكِ عن الغياب وعدم الالتزام بالاتفاق، فقد مرضت وسأسافر خلال فترة قريبة لإجراء عملية خطيرة في العمود الفقري، مما جعلني أتراجع مؤقتًا عن الشراء.

ثم طلب منها رقم والدها ليعتذر له بصفة شخصية. اتصل سالم بوالد لطيفة وتحدث معه لأكثر من ساعتين، تناقشا في مواضيع مختلفة، وحاول أن يتقرب منه أكثر، ومع كل اتصال جديد، كانت تزداد العلاقة بينهما قوة، حتى أخبر سالم والد لطيفة أخيرًا برغبته في الزواج من ابنته لطيفة، فطلب والدها منه مهلة ليسألها، وعندما أخبرها والدها أنه أرمل وطلبها للزواج، اضطربت مشاعرها وتشوش فكرها، ولكن صورته الصالحة، ومسبحته، ولحيته، وغض بصره، وحياؤه، كلها صفات حسنة جعلتها تفكر بجدية في الأمر، وأخذت تقنع نفسها قائلة: "أن هذا الرجل التقي

صاحب العفاف والوقار حتمًا سيصونني، وسيتقي الله فيَّ وفي ابنتي."

وبعد ما أخذ والدها الموافقة منها، أرسل من يسأل عن الحاج سالم في مكانه، فشهد له الجميع بالصلاح والتقوى. زعم سالم إنه يمتلك منزلًا كبيرًا من بابه، ما زال تحت التشطيب، واصطحبها هي ووالدها لرؤيته، وفرحت لطيفة به كثيرًا، فقد كان منزلًا رائعًا وله حديقة واسعة مريحة للأعصاب.

حدّد والد لطيفة موعدًا مع الحاج سالم للاتفاق على التفاصيل، فتفاجأ بطلبه:

_ أنا أريد إتمام كتب الكتاب أولًا.

رد والدها:

_ ولمَ الاستعجال قبل الانتهاء من كل التجهيزات اللازمة؟

رد سالم وهو يحرك حبات السبحة:

_ حتى لا يكون هناك مخالفة شرعية في لقائي بها، فأنا رجل أتقي الله في كل خطوة أخطوها، ثم إننا سنلتقي كثيرًا في الفترة القادمة لشراء مستلزمات المنزل، وستركب معي السيارة، وسنذهب معًا لفرش المنزل، ومن الأفضل أن تكون زوجتي.

رد والدها:

_ لا تقلق، والدتها ستكون معها دائمًا ولن تتركها.

رد سالم:

_ ليس من المعقول أن نستأذن والدتها تأتي معنا في كل خطوة نخطوها، فلم نعد صغارًا، أم ماذا ترى؟

تردد والد لطيفة في البداية، وبعد محاولات إقناع مستميتة من الحاج سالم، وافق على كتب الكتاب، ولكن بشرط أن يلتزم بميعاد تأهيل وتجهيز المنزل خلال الوقت المتفق عليه، فتعهد الحاج سالم بالالتزام بالميعاد المحدد، واتفق معهم على ميعاد لشراء الشبكة، واصطحبها بالفعل في الميعاد المحدد إلى الصائغ، واشترى لها خاتمًا من الألماس الحر.

ثم تم كتب الكتاب في حضور عائلي بسيط، ولم ينسَ والدها تذكيره قائلًا:

_ ستنهي تجهيز المنزل خلال ثلاثة أشهر على الأكثر يا حاج سالم.

وهنا سألته لطيفة:

_ ماذا عن أبنائك، لمَ لم يأتوا معك؟

أجابها سالم:

_ أبنائي خارج البلاد، وأنا أنتظر فقط عودتهم لأخبرهم بزواجنا.

_ واكتفيتُ اليوم، كما ترين، بحضور القليل من الأقارب وصديقي المقرب إيهاب.

ولكن لمحت لطيفة في عين صديقه إيهاب نظرة زائغة غير مريحة، وكأنه يود أن يخبرها بشيء ما أو يحذرها من خطر. ولكنها كذّبت إحساسها وبدأت تستعد لحياتها القادمة مع سالم.

مرت الأيام وتعددت اللقاءات بينهما، فكان يصطحبها إلى أحب الأماكن إلى قلبها، وكان يتظاهر أمامها بالصلاح والتقوى، حتى جاء يومٌ ممطر شديد البرودة، فطلب منها قائلًا:

_ هل يمكنكِ استضافتي اليوم في منزلك؟

ولكن لطيفة ترددت وقالت له:

_ هذا خارج اتفاقنا يا سالم.

فقال لها:

_ أنا أشعر بإعياء شديد وغير قادر على قيادة السيارة، والجو غير مستقر، والخروج سيرهقني، والبرد ضار بصحتي، خصوصًا أن عمودي الفقري لا علاج له سوى إجراء العملية.

وعندما شعر بقلقها، طمأنها قائلًا:

_ أنا رجل حر، وكرامتي لا تسمح لي بإتمام الزواج فعليًا إلا في منزلي الذي أملكه من حر مالي، ورجولتي تأبى الإقامة في منزل زوجتي.

ارتاحت لطيفة حينما سمعت رأيه، وازداد في قلبها غلاوة واحترام.

بدأ سالم في زيارتها في منزلها، فهو أمام الله زوجها، ولا خطأ شرعي في ذلك، ولكنه تمادى في الزيارات بدون أسباب، مما أزعج لطيفة، ومر أكثر من ثلاثة أشهر ولم يلتزم بتجهيز المنزل.

سألته لطيفة:

_ لماذا لم نبدأ في شراء مستلزمات المنزل إلى الآن؟

فأجابها:

_ لقد أخذت قرارًا ببيع المنزل لإيهاب، صديقي، وسأشتري بثمنه منزلًا جديدًا قريبًا من منزل عائلتك ليطمئن قلبي عليكِ خلال فترة سفري لإجراء الجراحة.

فقالت له لطيفة:

_ ولماذا أخذت هذا القرار وحدك ولم تخبرني؟ وإن كان كما تقول، فأين الثمن الذي ستشتري به المنزل؟

أجابها ببرود:

_ صديقي إيهاب سيقبض ثمن بيع قطعة أرض خلال شهر على الأكثر، وبثمنها سيشتري المنزل، فلا تقلقي وابدئي في البحث عن منزل كبير بالقرب من منزل عائلتك.

أخبرت لطيفة والدها ووالدتها بما قاله سالم، ولكنهم لم يصدقانه، وطلبوا منها أن تكون على حذر منه إلى أن يثبت صدق نواياه.

وقال لها والدها:

_ امتنعي عن مقابلته حتى يفي بوعده، فلقد أخطأنا عندما وافقناه على كتب الكتاب.

ارتبكت لطيفة وقالت له:

_ لا تقلق يا أبي، إن مثله لا يكذب أبدًا، فهو رجلٌ تقيٌ ويخشى ربه.

ولكنها كانت غير مطمئنة وتشعر أن هناك سرًا لا تعرفه، وأصبحت تشك في أمره، فقد لاحظت عليه بعض الثقل في اللسان والاحمرار في العين، وعندما طلبت منه تفسيرًا، ترقرغت الدموع في عينيه وأخبرها أن الأدوية المُسكّنة القوية التي يتناولها هي السبب في هذه الحالة، فخجلت لطيفة من نفسها وبكت وشعرت بالذنب نحوه، ولامت نفسها، فما كان يصح أن تتسبب في إحراجه.

وفات الميعاد ولم ينفذ وعده، وظل يتحجج بإيهاب صديقه، فقالت له لطيفة:

_ ليس بالضرورة إيهاب، ابحث عن مشترٍ آخر، فمظهرك أصبح مخجلًا أمام عائلتي.

وحاول سالم في تلك الفترة أن يسحرها بمعسول الكلام، وأخذ يستعطفها بمرضه، ويتألم أمامها باستمرار.

وطال الوقت ولم تجد منه تنفيذًا للوعد، وكلما سأله والدها عن سبب التأخير، يخبره أنه لم يجد بعدُ مشتريًا جادًا للمنزل.

وفي كل مرة يسألها والدها عن حقيقة الأمر، كانت تتهرب من الإجابة لأنها لا تجد ما تقوله.

وجاء الوقت لكشف المستور، حينما وقع من محفظة سالم قرصٌ له شكلٌ غريب، فاحتارت لطيفة في الأمر، ولكنها قررت النزول إلى الدكتور وحيد الصيدلي وسألته، وكانت الصدمة التي فجعتها، فقد أخبرها أنه نوع من الإدمان، فأدركت وقتها سبب احمرار العين وثقل اللسان، فانتحبت وندبت حظها، وكادت أن تفقد وعيها، واحتارت: هل تخبر أهلها أم تخفي عنهم هذه المصيبة؟

ولكن كيف ستخبرهم وهم لا يعلمون أنها قد سمحت له بدخول منزلها، فكيف ستعترف لهم؟

وفكرت مليًا في طريقة لحل مشكلتها، فاقترحت عليها ريهام صديقتها أن ترسل أمجد زوجها ليتحرى عنه عند موقع معرضه، فوافقت لطيفة على الفور وكتبت له العنوان.

وسافر أمجد إلى المحافظة التي منها سالم، وذهب إليه في المعرض بحجة السلام عليه، فقد وجد نفسه أمام معرضه بالصدفة، وحدث ما لم يتوقعه أحد، فالحاج سالم ليس هو الحاج سالم الأصلي صاحب معارض الموبيليا، ولكنه مجرد تشابه في الأسماء بينه وبين ابن عمه، فقد انتحل هذا الوغد شخصيته.

وعندما علم الحاج سالم الحقيقي من أمجد أصل الحكاية، غضب واتصل على سالم واتهمه بأنه العرق الفاسد في العائلة، وسوف يحاسبه حسابًا عسيرًا على فعلته.

فثار سالم وذهب مسرعًا إلى لطيفة، وانفعل عليها، وبكل وقاحة اتهمها أنها غادرة ولم تخلص له، وأنها لو أحبته حقًا بصدق فلن يفرق معها من يكون، ووصفها بالخبث، فإنها هي من أرسلت أمجد عن عمد ليتحرى عنه، فتسببت في فضيحته.

ثم تجاوز في كذبه قائلًا:

_ والدي كان شريكًا في كل المعارض، ولم يسجل العقود، وبعد وفاة عمي ووالدي، استولى ابن عمي سالم على ميراثي بعد ما سرق الأوراق التي تثبت حقي من خزنة المعرض. وأنا سوف أقاضيه في القريب العاجل.

تعجبت لطيفة من وقاحته وجرأته على الكذب، وهو من يدّعي الفضيلة والتقوى، فازداد قلقها وطلبت منه الطلاق.

ولكن يا له من رجل وقح وعديم الشرف، هددها بكل جرأة أن حياتها ستكون الثمن.

خافت لطيفة منه، فهو مدمنٌ، وفي حالة لا وعي دائم، ويمكنه أن يفعل أي شيء تحت تأثير تعاطي المخدرات.

وكانت الصدمة الكبرى حينما اكتشفت أن علبة مجوهراتها فارغة، فلم يكتفِ بسرقة خاتمها الألماسي، بل سرق بقية المجوهرات أيضًا، فأصابها حالة من الصراخ والبكاء، وأخذت تقول:

_ كيف سأخبر والدي، وبماذا سأبرر لهم دخوله إلى منزلي؟

تشاجرت حينها معه شجارًا حادًا، وطالبته برد كل ما أخذه فورًا، ولكن لا فائدة منه، فكل مرة يعطي لها وعدًا يخلفه ويتحجج لها بحجج واهية.

حتى المنزل أيضًا ليس ملكه، فهو في الأصل ملكٌ لإيهاب صديقه الذي حضر كتب الكتاب.

وهنا أدركت لطيفة ماذا كان يود إيهاب قوله بنظراته الغريبة لها في هذا اليوم المشؤوم.

رغم احتفاظ لطيفة بجمالها وشبابها، إلا أن زواجها من سالم المخادع ألقى بظلال الخريف على حياتها، وكأن الخريف استوطن روحها.

يبدو سالم في مظهر الإمام الصالح، حريصًا على إقامة الصلاة، وممسكًا بالسبحة، ولكن وراء هذا القناع المقدس يكمن رجل آخر مخادع وخائن، والحقيقة بعيدة كل البعد عن مظهره.

بعد ليلة صعبة من الشجار معه، نامت لطيفة على الأرض، وكأنها فقدت الوعي.

استيقظت في الفجر على صوت تغريد العصافير، ولكن صوت اليمامة كان هو الأقوى في قلبها، وكأنها تناديها للعودة إلى ربها، وتذكرها بوحدانيته.

كانت لطيفة تحاول أن تتخذ قرارًا سريعًا بالانفصال عن زوجها الماكر، الذي لا يهمه سوى الكذب والخداع، ولا يغار على شرفه، فلو وجدها سلعة لباعها واشترى ذلك المخدر الذي يدمنه.

شعرت لطيفة بالقلق والوحدة، فاتصلت بصديقتها ريهام وأخذت تلومها قائلة:

_ لماذا لم تحذريني من زيارته لي في بيتي؟ ولماذا لم تنصحيني قبل أن أقع في هذا الفخ؟

مسكينة، وكأنما بلومها لريهام أرادت أن تسقط أخطاءها عليها لتتخلص من شعورها بالذنب.

وهنا بدأت ريهام في لوم لطيفة بقسوة:

_ أنتِ لم تتعلمي من تجاربكِ السابقة، وأنتِ من أدخلتيه إلى بيتك أول مرة دون علمي ودون استشارة أحد. وأن هذه المرة الثالثة التي تفشلين فيها في زواجك، فكيف سيصدق الناس أنكِ الضحية دائمًا؟

شعرت لطيفة بالإحباط والضيق من كلام ريهام، فأغلقت الهاتف دون أن تشعر، ثم تمتمت بضيق: "يا له من حوار ممل ومزعج، فكلما تذكرني هذه الحمقاء بفشلي، بينما هي في الحقيقة لا

تحب زوجها أمجد، وما زالت عالقة بحبها القديم، لم تنسَ ذكرياتها مع حبيبها رغم مرور السنين."

ثم خرجت لطيفة من غرفتها وهي تُظهر توترها، فوجدت سالم في حالة يُرثى لها، غائبًا عن الوعي كعادته. ثم قال لها بصوته التائه المتهالك:

_ أعدي لي الطعام وكوبًا من الشاي، وارسلي في شراء ثلاث علب من السجائر الأجنبية، وادفعي ثمنهم من مالكِ لأنني لست معي نقود الآن.

فقالت له:

_ أنا لا أملك ما يكفي من المال.

فقال لها:

_ اطلبي من البائع أن تدفعي له في الغد، أو اقترضي المال من إحدى صديقاتك.

نظرت إليه نظرة احتقار واشمئزاز، وشعرت أنها لا تريد أن تراه مرة أخرى، وقالت له:

_ متى ستصبح رجلًا مسؤولًا؟ من الأفضل أن ترد لي مجوهراتي التي سرقتها في أسرع وقت قبل أن يكتشف أهلي مصيبتك.

وفي ليلة قمرية دموية دخلت غرفتها وسجدت سجدة طويلة، تبكي وتناجي ربها، تسأله المخرج من هذه الورطة.

وفجأة، ارتجفت وتمتمت: آه يا إلهي، ما هذا؟

رأت عيناها الإجابة، وكأنها حقيقة، فنهضت مسرعة وهي ترتجف، لملمت كل أغراضه، ولم تنحنِ لتلملم بعض الأغراض الصغيرة التي تساقطت منها، ثم قفلت الحقيبة وخرجت مسرعة، لا تسمع نداءه عليها، ثم طلبت منه الخروج بلا رجعة، وهددته بأن تفضحه.

ارتفع صوت عراكهم، وسمعهم الجيران، بل الشارع بأكمله. دفعت لطيفة إلى الخارج وطردته، وهي ترى في ملامحه الضائعة، ملامح سمير الفاسق ممزوجة بملامح حاتم النصاب، ثم رمت له متعلقاته على سلالم المنزل.

وعلمت بعد ذلك من بعض الجيران أنه كان يخطط لبيع منزلها بورق مزور.

أخذت لطيفة تهذي بالكلام، وهي تشعر بالحقد والغضب على كل من تسبب في آلامها. فسمير، لو كان رجلًا محترمًا، وقورًا وملتزمًا، ولم يتجه إلى القمار وطريق الفساد، ما كانت وصلت إلى هذا الطريق المسدود، وما قابلت هؤلاء المنحرفين، وما عانت وحدها في استكمال الحياة.

ثم تذكرت الجدة صفية، وألقت اللوم عليها، فهي من تسببت في خوفي ورعبي وزواجي دون تفكير، حتى أهرب فقط من المنزل الملغم بالعفاريت والكوابيس المخيفة.

لا، بل إنه أدهم المستهتر، الذي قضى على حياتي، وتسبب في زواجي السريع من سمير لأستعيد كرامتي.

لا، بل إنه والدي، الذي ترك الأمور تسير ببساطة، ولم يهتم بحالتي النفسية السيئة، وحالة الرعب والقلق التي تسببت فيها والدته، الملكة الأم صفية.

لا، بل إنها والدتي، التي استسلمت للبكاء وقلة الحيلة، ولم تأخذ موقفًا جادًا مع والدي لتحسم الأمور المتعلقة باستقرار وأمان البيت.

لا، بل إنها أنا، فقد استسلمت لرعونتي وكررت كل أخطائي.

ثم أخذت تنعي حظها، حائرة، تفكر كيف ستخبر أهلها بتلك المصيبة؟ ولكن سبقها أحد الجيران واتصل بوالدها وأخبره بالفعل.

الفصل الخامس
العشق الأعمى

شعرت لطيفة بحالة اكتئاب حادة بعد سلسلة الصدمات الصعبة التي تعرضت لها. وزاد من كآبتها خصام والدها لها بسبب قراراتها الخاطئة. جلست كعادتها في غرفتها، ترتشف قهوتها مع بعض حبات الرمان.

رن هاتفها برسالة من عاصم، صاحب الشركة التي كانت تعمل بها، فتحت الرسالة، كان يهنئها بقدوم العيد. نظرت إلى صورته بإعجاب شديد، فهو في نظرها أكثر جاذبية من الفنان العالمي نيكولاس كيدج.

عاصم رجل أنيق يمتلك بشرة بيضاء تميل إلى البرونزية، مما يضفي عليه مظهرًا دافئًا، متوسط الطول والبنية، مما يجعله يتمتع بقوام متناسق، عيناه خضراوان تميلان إلى العسلي، مما يزيد من جاذبيته. يمتلك ذوقًا رفيعًا في اختيار الملابس، فمه مرسوم بعناية مع شفتين ممتلئتين، مما زاد من جاذبية وجهه. يمتزج شعره بخصلات رمادية وفضية، مما يضفي عليه مظهرًا كلاسيكيًا وراقيًا ويعكس نضجًا وخبرة.

كان عاصم يخفي مشاعره تجاهها، يتمنى لو كانت زوجة له، ولكنه أضعف من أن يحسم أمره لصالح قلبه، فكانت ظروفه الاجتماعية تعيق قراره، إلى جانب قرارات لطيفة المتسرعة، فقد تمت خطبتها لحاتم بسرعة غريبة، ثم أجبرها على ترك العمل بسبب غيرته الجنونية وشكوكه المستمرة، ثم زواجها من سالم بعد فترة قصيرة.

كل هذه الأحداث جعلته يراقبها من بعيد، ولكنه كان غير راضٍ عن قراراتها الخاطئة.

ردت لطيفة على رسالة التهنئة برسالة تهنئة مماثلة، دون أن تدرك أن هذه الرسالة كانت بداية قصة حبها الحقيقية، فقد عاشت حياتها تبحث عن الاستقرار دون أن تحب أحدًا حبًا حقيقيًا.

في اليوم التالي، أرسل لها عاصم رسالة في وقت متأخر من الليل، كانت الرسالة عبارة عن باقة من الورد مع رسالة بسيطة تقول: "مساء الخير".

ردت لطيفة عليه بتحية المساء، وسرعان ما أصبحت هذه الرسالة عادة يومية بينهما. فكانت تعد فنجان قهوتها وتنتظر رسالته بلهفة.

ومع مرور الوقت، تطورت الرسائل إلى محادثات طويلة بينهما، فكانا يسهران معًا، يتسامران ويضحكان، وكان يمازحها فيخيفها من الجلوس بمفردها، فكانت تشعر بالقشعريرة والخوف وتود أن ترتمي على صدره ليعانقها كما لو كانت حبيبته المدللة.

كانت تشعر بالسعادة معه، فهو يستمع إليها باهتمام، فكانا يتحدثان عن أحلامهما ومخاوفهما ويتبادلان المداعبات والحكايات والأسرار، وأصبح منتصف الليل وقتًا مقدسًا بالنسبة لهما.

وجدت لطيفة نفسها ذات ليلة ترد على رسائل عاصم برسائل غزلية، فبدأت تغازله بدون أن تدري، وكأنها وصلت معه إلى قمة

سُكرة العشق، فكانت الكلمات تحمل معاني خفية بين السطور، فبدأ عاصم يحتار في أمرها ويشك في نواياها. فهل هي تقصد مغازلته حقًا أم أن تلك الكلمات الساخنة خرجت منها دون قصد؟

أراد عاصم أن يتأكد من شكوكه، فسألها:

_ لم أفهم رسائلك الأخيرة، ماذا تعني؟

أجابته بجرأة:

_ تعني ما فهمته، فلن أخفي مقصدي، ولن أحاول إيجاد مبرر مكذوب لمجرد خجلي منك.

فقال لها:

_ ولكني أرى تجاوزات عاطفية، ومشاعر متوهجة، وأحاسيس مشتعلة، وأنا غير مستعد لحدوث بلبلة وفوضى في حياتي.

قالت له:

_ لا أريد أن أكون السبب في حدوث زوبعة في حياتك ما دمت تراها هادئة ومستقرة.

قال لها:

_ قد يكون الشخص مستقرًا، ولكنه ليس سعيدًا، وقد يضطر للتضحية بسعادته من أجل استقراره حتى لا تنهار علاقته بمن يعولهم، فغالبًا ما يكون الشخص المسؤول مضطرًا للتضحية بسعادته من أجل من يعتمدون عليه، أتفهمين مقصدي؟

لطيفة بضيق:

_ نعم، أفهم ما قصدته، ولكنني أختلف معك في وجهة النظر. الشخص السوي يبحث عن سعادته ويستمتع بحياته، ولا يشترط أن يعلن عن سعادته للعالم من حوله.

عاصم بحيرة:

_ وجودك خطر في حياتي، لا شيء يبقى مخفيًا إلى الأبد، فكل ما يخفيه الظلام سينكشف في أي وقت ولأتفه الأسباب. معذرة، سأضطر لإنهاء المكالمة الآن.

لطيفة مختنقة وباكية:

_ حتى أنا أيضًا، سلام.

كان عاصم يعلم حقيقة مشاعرها، ولكنه أراد أن يثيرها حتى يسمع منها ما يرضي غروره، فقد كان رجلًا حاد الطباع، غليظ القلب، لا يؤمن بالحب أو الدلال الأنثوي. ومن وجهة نظره، التواصل بين الرجل والمرأة مجرد روتين لإبقاء السلالة البشرية فقط. ولكن لطيفة أثارت في قلبه مشاعر لم تكن موجودة من قبل، فقد أحبته بكل جوارحها دون أن تخطط لذلك.

كانت صادقة ومخلصة في عشقها، وتتعامل على طبيعتها، ولكن عاصم كان يغضب ويثور لأتفه الأسباب، وكأنه يعاقبها على المشاعر التي أثارتها فيه بدلالها عليه.

كم تمنت لطيفة أن تتذوق طعم العشق، ولكنها شعرت باليأس من العثور عليه، خاصة بعد تجاربها المريرة السابقة، وظنّت أن العشق مجرد وهم، لكن ظهور عاصم قلب معتقداتها.

أدركت أن العشق يمكن أن يأتي فجأة، دون مقدمات أو أسباب منطقية، ودون سابق إنذار، ولم تكن لتؤمن بذلك لولا أنها خاضت التجربة بنفسها.

لطيفة لم تفهم الدافع الحقيقي وراء اتصال عاصم بها واستنكاره لرسائلها العاطفية، ولم تدرك أن حب عاصم الشديد لها كان الدافع الحقيقي وراء اتصاله. فقد تخبّأ عاصم وراء ستار الاستغراب والاستنكار ليسمع منها اعترافًا بحبها له. وهي لم تخيب ظنه، وأكدت له أن مشاعرها حقيقية، واعترفت له أنها لأول مرة تتذوق طعم العشق دون سبب واضح، وكأن حبه رُشق في قلبها كطعنة خنجر حادة.

فاجأها عاصم باتصال آخر يطمئن فيه على حالها، ثم طلب منها عدم البكاء مرة أخرى، لأن حزنها يحزنه. فشعرت لطيفة بالحيرة، لكن الفرح غمر قلبها، وأدركت أن عاصم لم يقدر على إخفاء مشاعره تجاهها.

وهنا بدأت قصة حبهما، ووجدت لطيفة نفسها في دوامة من المشاعر وفي رحلة عاطفية جديدة.

علمت لطيفة معنى أن تعشق رجلًا دون هدف أو مصلحة، فلم تعد تهتم بفكرة الزواج منه أو الاستقرار معه، وتخلّت عن قناعاتها السابقة، وأصبح رضاه هو كل ما تريده، دون النظر إلى المستقبل، فحبها له لم يكن مبنيًا على المصلحة.

كانت تتمنى أن تكون رفيقة دربه، لكنها كانت تعلم أن ذلك مستحيل، فلم يكن عاصم الرجل الذي يملك الشجاعة ليتخذ قرارًا بشأن عشقهما، ورغم ذلك، لم يتأثر عشقها أو تقديرها له، وبقيت مشاعرها قوية وثابتة.

لم يكن عاصم رجلًا قادرًا على اتخاذ القرارات الصعبة، ولكنها بقيت مخلصة له، دون أن تتأثر بضعفه وتردده وتخاذله.

كان عاصم حبيبًا لها بالاسم فقط، دون أن يُظهر أي موقف رجولي حقيقي، فلم يكن سندًا لها أو ظهرًا، لم يكن يتحمل أي مسؤولية تجاهها حتى في أبسط الأمور، ومع ذلك رضيت معه بهذا الوضع المخجل. كانت تغمض عينيها عن كل السلبيات، وتدرك تمامًا أن هذا هو الحب الأعمى الذي كانت تسمع عنه في الأساطير.

قضت لطيفة ليالي جميلة في خيالها، تتصور فيها مستقبلًا مشرقًا معه. وتحاورت معه كثيرًا في الأمر، لكنه لم يوافقها على أي من الحلول لتتويج علاقتهما بشكل يليق بهما. ورغم ذلك لم تتأثر، وظلت تسهر معه على الهاتف طوال الليل، وشعرت وكأنها امتلكت العالم. نعم، لقد اعترف عاصم لها بحبه، ولكنه لم يُظهر أي التزام حقيقي تجاهها.

عاشت معه اهتمامًا من طرف واحد، حيث لم يكن يهتم بها، فلم يشاركها أحلامها، ولا أفراحها، ولا أحزانها، لكنها ظلت تسهر معه كل ليلة، وتشعر بسعادة غامرة، ولم تستطع التخلي عنه رغم كل السلبيات. ولكنها كانت تلوم نفسها متسائلة:

_ إلى متى سأظل أتسكع في طرقات عاصم المظلمة الموحلة؟

ولكن يا لها من غبية، فقد كانت قصتها معه حلقة اكتمال لمنظومة حماقتها، فكانت غارقة في عشقه، وفقدت إحساسها بالعالم من أجله، فلم تعد تهتم بأصحابها أو أقاربها، بل أصبح كل همها هو التواصل معه، وكانت الدنيا تضحك عندما يكون معها، وتحزن عندما يغيب عنها.

عاشت معه في عالم خفي خلف الكواليس، فكانت تتزين بأجمل ثيابها وتضع أروع عطورها، ثم تنظر إلى القمر وترقص له بدلال أنثى عاشقة.

كانت ترى في وجه القمر ملامحه، فتتوهم أنه يراها ويرتشف معها من كأس الهوى واللهف، وكأنها فقدت صوابها. وبالرغم من عشقه لها، لم يستطع أن يُظهر لها مشاعره بطريقة رقيقة، فقد كان عاصم رجلًا شرقيًا أصيلًا، ظن أنه امتلكها كجارية عندما تأكد من حبها له، ولكن في الحقيقة، أنه لن يُفِق من غفلته إلا وقتما تُصفَق الباب في وجهه وتُكسَر الجرة خلفه.

إنه في أغلب الأوقات لا يحترم مشاعرها ويخاطبها بجفاء وقسوة وخشونة، فتسبب في شعورها بالحسرة والألم، حتى أنها كانت تسمع صوت قلبها يدق بقوة في صدرها، ولم تجد سببًا مقنعًا لهذا التحول العجيب في طريقته معها، وكأنه قد تأكد من عجزه عن أن يقف معها وقفة رجال، فكان يُسقِط تخاذله وضعفه عليها. ولكن يبدو أيضًا أن هذا هو وجهه الحقيقي الذي لم يُظهِره إلا بعدما تأكد من حبها له.

بدأت لطيفة تشعر نحوه بلهفة مختلطة بالإهانة والذل، وبدأت ترى حياتها معه كفيلم ساقط يقترب من النهاية، ولكنها حاولت كثيرًا أن تستميله وتجعله أكثر مرونة، وبالرغم من حبه لها، فقد ظل يغلب عليه طبعه البدوي الحاد.

في الواقع، عاصم لا يطيق فراقها، ولكنه لا يحترم قربها. كانت لطيفة ترتعش عند سماع صوته، ولا يهدأ جسدها إلا بعد إرهاق شديد. شعرت معه بمشاعر أنثوية ملتهبة لم تشعر بها من قبل.

هنا أدركت لطيفة أن للعشق أحاسيس مختلفة تجعل الأنثى كشعلة نار متقدة. لكن عاصم لم يصُن حبها، بل ظل يعاملها بمزاجية. أحيانًا يهتم بها، ويغازلها، ويداعبها، ويعانقها، ويطير بها إلى أعلى السحاب، وأحيانًا أخرى يهملها، ويُنزل بها إلى سابع أرض بحجة ضغوط العمل والحياة.

شعرت لطيفة أنها دمية في يديه، يلعب بها كيفما يشاء، وكأنه فاز بها في البخت أو اليانصيب، فشعرت بالإحباط، وأدركت أنه يريد تحطيمها، وعلمت أخيرًا أن كرامتها فوق كل شيء، وقررت أن تنهي هذه العلاقة السامة.

وفي ليلة ظهر فيها القمر بمظهره الدموي بعثت لطيفة له رسالة تقول له فيها:

"عشقتك بجنون، عشق لن تجده في امرأة غيري، حتى لو بحثت في العالم أجمع. كنت لك الحبيبة، الرفيقة، الخليلة، والعشيقة المُدللة. أعطيتك كل شيء: الشغف، اللوعة، الاشتياق، التضحية، الإيثار، الجنون، الوفاء، الإخلاص، الدلال، العشق، اللهف، الحنان. سأرحل عنك، آخذة معي كل ما وهبته لك، حتى تشعر مرارة الفقد. لن أعود، لأنني أعلم أنك لست بالرجل القوي، وليس لك قرار في أمرك. للأسف، عشقتك بالرغم من وضوح كل عيوبك ونقاط ضعفك. ستبحث عني في قلبك الخاوي، وبين أضلعك الهشة، وثناياك المخوخة، وأرضك البور، وصحرائك الجرداء. أعدك أنك لن تجدني، لأن ارتوائك كان من سلسبيل يدي، وامتلاؤك كان من أبيار عشقي. ستظل روحي الشاردة التائهة تعذبك وتسكن جسدك، لأنك قتلتني وحرمتني من أجمل مشاعر الأنوثة. حرمتني متعة الشغف التي لن تعود لك أبدًا، ولن تذهب لغيرك. المذبوح لا تعود له الروح، ولكنني سأظل أتألم من خسارتك. تمنيت أن أرتمي بين أحضان رجل عظيم يستحقني، حتى أؤكد لك أنك أصبحت لي مجرد سراب، ولكن لست أنا تلك المرأة التافهة التي تخشى المواجهة. سأنسحب من هذه العلاقة السامة بشجاعة وكرامة وجرأة محاربة شريفة. كنت أتمنى أن يأتي يومًا أجد فيه رجلًا عظيمًا أعشقه ويعشقني. ولكن الآن، سأقف وقفة حداد على عتبة رجولتك المتخاذلة ومشاعرك الباردة. فلتخسرني يا شقي الروح. ولكن يبقى سؤال: أين منك الخجل؟".

صمت عاصم، معتقدًا أنه ترك العلاقة معلقة، ولم يُدرِك أن النهاية قد حدثت بالفعل.

عاد أدهم من الخارج خلال فترة زواج لطيفة من سمير، ولكنه لم يحاول أن يتواصل معها، فهو يعلم أن لطيفة امرأة قوية ولن تسمح له بالتلاعب بها مرة أخرى، وتزوج من ابنة عمه أسماء إرضاءً لوالده، وأنجب منها ثلاث أبناء، ولكنه ظل شخصًا متهورًا وطائشًا.

ظلت حياة لطيفة محاطة بالرجال الذين يلاحقونها، ولكنها ذكية وشجاعة، تقف بقوة في وجه كل من يحاول إيذاءها.

سمير ما زال يطاردها بحماقة.

حازم يحبها ويريد العودة.

حاتم يراقبها بخبث، ويحاول استقطابها إلى قبضته مرة أخرى.

سالم ذهب ولن يعود.

لطيفة لم ولن تعشق إلا عاصم. وعلى الرغم من أنه لا يستحق حبها، ولكنه أصبح بطل قصتها الحقيقي. كانت تؤمن بأن خسارته هائلة، لأنه فقد امرأة عشقته بجنون وصدق. لقد حملت سيفًا لم يقوَ على حمله أشباه الرجال. كانت تعلم أنها هي من ظلمت نفسها لأنها لم تتعلم من أخطائها، وهذا كان سبب فشلها الدائم.

تذكرت لطيفة كل ما مرت به وهي تشرب كوب الشوكولاتة البارد، والذي كان من المفترض أن تشربه ساخنًا، لولا فعلة سامي الحمقاء التي غيرت كل شيء، ومع كل رشفة كانت تتذكر شيئًا من قصة حياتها التعيسة.

نهضت لطيفة وهي ترتجف عند سماع جرس الباب. فتحت الباب لتجد والدة سامي تقف أمامه، تريد أن تعتذر لها عن تصرف ابنها المتهور، فقبلت لطيفة اعتذارها، وضمتها إلى صدرها، وأخبرتها أن من الأفضل نسيان ما حدث.

بعد ذلك، قررت لطيفة أن تعيش وحيدة مع زهرة ابنتها، وأغلقت الباب بشراسة في وجه كل من تقدم للزواج منها، وأنهت بكل قوة رحلتها، ولم تعد تائهة أو شريدة. اختارت البقاء مع قمرها وفنجان قهوتها.

هي ما زالت تستمتع بلعق التفل المتبقي في قعر الفنجان بأصبعها الرقراق.

الفصل السادس
أهداف ساقطة

بعد عودة أدهم من السفر، كرَّس كل خبرته في إدارة مجموعة شركات والده رجل الأعمال الثري.

كانت لطيفة وقتها ما زالت زوجة لسمير، وفي لقاء صدفة التقى أدهم بهما، فانجذب إليها بحدَّة ولم يرفع عينيه عنها، ولم يعر سمير أي انتباه.

وقتها، لم تستطع لطيفة إخفاء نظرات الإعجاب التي ألقتها نحوه، فقد ظل رجلًا وسيمًا ومتألقًا، وأنيقًا وساحرًا، بل ازداد نضجًا وجاذبية، فاستطاع حينها إشعال غيرة وحقد سمير.

للأسف، أدهم به الكثير من الغرور القاتل، فيعتز برجولته التي لا يرى لها مثيلًا من وجهة نظره، فهو نرجسي نوعًا ما، يرى نفسه أفضل من أي رجل آخر، وأنه فرصة عمر لأي امرأة، فهو دائم الكلام عن أناقته، وسيارته الفخمة الفارهة، وكثافة شعر رأسه، وغزارة شعر صدره الذي يلفت نظر النساء، وأكتافه العريضة، وعطره الخاص الذي لا يبوح باسمه لأحد.

وبالرغم من أنه تزوج خلال سنوات سفره ثلاث مرات من نساء من جنسيات مختلفة، إلا أنه لم ينجب إلا ابنته أوليفيا من زوجته الإنجليزية، بينما لم تستمر زيجتاه الثانية والثالثة لأكثر من شهر.

عندما يذهب أدهم إلى الشركة بعد الظهر، وتحديدًا في الساعة الثانية عشرة، تبدأ معظم الموظفات في تجهيز أنفسهن، ورش العطر، وتحسين مظهرهن. ويصطنعن الأعذار لمجرد الوقوف

أمامه أثناء توجهه إلى مكتبه، وكل الموظفات يحسدن نيفين، سكرتيرته الخاصة، على مكانتها المرموقة في الشركة، فنيفين تتمتع بقربها منه في العمل وخارجه، حيث تقضي ساعات طويلة في مكتبه بحجة متابعة مهام العمل. وكان الجميع في الشركة على علم بالعلاقة السرية التي تجمع بين أدهم ونيفين.

نيفين امرأة ملفتة للنظر أكثر منها امرأة جميلة، فهي طويلة ذات قوام ممشوق، بشرتها متوسطة اللون بين الأبيض والخمري، خدها يميل إلى اللون الخوخي الدافئ، لون عينها عسلي غامق جذاب، وشعرها بني غامق جميل المظهر ومتوسط الطول.

تزوجت نيفين لمدة سنة واحدة من شامل، أحد كبار رجال الأعمال المعروف عنهم العفة والاستقامة، ولكن لم يستمر زواجهما كثيرًا بسبب تحررها الزائد عن الحد الذي أخفته عنه بالطبع في فترة الخطوبة، فمثَّلت عليه الالتزام وأظهرت له الاستقامة، فقد كانت تريد أن تتحرر بأي طريقة من الحياة المملة في منزل زوج والدتها الذي كان لا يوافق على تصرفاتها الطائشة.

اكتشف شامل بعد ذلك أنها تشرب الخمر، وأنها تذهب إلى صديقتها لتبدل ملابسها التي خرجت بها من منزله، لترتدي أخرى خليعة لا تليق بامرأة فاضلة، بالإضافة إلى صداقاتها العديدة مع الرجال، فهذا جارها وصديق الطفولة، وهذا صديقها منذ أيام الدراسة، وهذا من النادي.

وعندما اعترض شامل على أسلوب حياتها، لم يلقَ منها إلا الاستهتار والسخرية منه ومن حياته المعقدة، فقرر تطليقها والخلاص منها، ولكنه اكتشف حملها في شهرها الثاني، فاضطر أن يعطيها فرصة أخرى، ولكن اشتعلت المشاكل أكثر بينهما، فهي تشرب الخمر وتدخن بشراهة، فخاف شامل على الجنين، فطلب منها أن تكف عن ذلك على الأقل فترة حملها، ولكن لا فائدة منها، حتى وصل معها إلى اتفاق أرضاها، فطلبت منه مبلغًا كبيرًا من المال ومنزلًا باسمها مقابل محافظتها على الجنين.

وبناءً على ذلك، كتبت له إقرارًا بتنازلها عن حضانة المولود، وشرطت أن يترك لها كل مجوهراتها، وتحصل على مؤخرها ونفقتها.

وافق شامل على كل طلباتها، فهو يريد هذا المولود. أنجبت نيفين ولدًا، تركته لشامل منذ ولادته، فهي لا تريد أن تضحي من أجل أي شخص، حتى إن كان ولدها. إنها امرأة قاسية القلب ومتحجرة المشاعر، ومصلحتها فوق كل اعتبار.

وفي وقت من الأوقات، تخيل شامل أنها وقتما ترى مولودها سوف تتغير إلى الأفضل، وتشعر بالمسؤولية، وتبدأ حياة منضبطة، فقد كان يأمل أن إحساس الأمومة سيجعل منها زوجة متزنة تحافظ على بيتها. ولكن هذه نيفين الأنانية لن تتغير، إنها تشبه أدهم في فساده ونرجسيته.

نيفين لم تكن سكرتيرة أدهم فقط، بل هي إحدى نسائه، وأدهم هو من وظَّفها في الشركة لتكون دائمًا قريبة منه، فهي المفضلة لديه، ولها مكانة خاصة عنده، ولكن تلك المكانة ليست في قلبه، فغروره كان لا يعطي قلبه فرصة للحب، فهو لا يرى أي امرأة تستحق أن تكون حبيبته أو خطيبته أو زوجته، فمن تلك التي سينعم عليها بالارتباط بها وهو حلم كل النساء؟ هكذا كان أدهم يعتقد.

ولكن من جهة أخرى، كان والده يرى أن أنسب زوجة له هي أسماء ابنة عمه، حتى لا تذهب أملاك العائلة إلى الأغراب، وهذا قانون العائلات الثرية من قديم الزمان. كلما نظر أدهم إلى أسماء كان يشعر بمرارة قدره، فهو لا يشعر بأنوثتها، فكان يرى ملامحها خليطًا من عمه وابن عمه شوقي، الذي قضى معه سنوات غربته.

أسماء فتاة مهذبة، متوسطة الطول، مقبولة الشكل، بيضاء البشرة، واسعة العين، شعرها قصير بني فاتح اللون، قريب من لون عينيها.

ولكن أدهم لا يشعر بأي رغبة فيها، بل يكاد لا يستلطفها، وأخبر والدته أنه لا يحمل لها أي مشاعر، بل يراها ثقيلة الظل، ولا يطيقها ولو لليلة واحدة.

غضبت والدته وقالت له: "والدك لن يتراجع، وأنا لا أملك تغيير قراره، ويجب عليك أن تطيعه حتى لا تشعل النار في العائلة. ألم يكفك زيجاتك السابقة الخائبة؟"

أسماء معجبة بأدهم، ولكن قلبها مع عادل ابن خالتها، ولكنها كانت على يقين أن قصتها مع عادل ستنتهي بالفراق، والغريب في الأمر أنها كانت متصالحة جدًا مع الظروف، وتفكر بعقلانية، وتعلم أن أدهم هو المناسب لها من الناحية الاجتماعية والاقتصادية، وأن قلبها لن يجلب لها سوى المتاعب، فلم تعارض أبدًا قرار ارتباطها بأدهم، بل اعتبرت ذلك انتصارًا عظيمًا، وقالت في نفسها: "كم فتاة تتمنى أن تكون مكاني الآن، سواء من العائلة أو خارجها؟ سأكون أنا المنتصرة عليهن جميعًا."

والغريب أنها لم تشغل بالها أبدًا معاناة عادل ابن خالتها، بالرغم من حبها له.

اختارت أسماء يوم عيد ميلادها لتخبر عادل بقرار والدها بزواجها من أدهم، لكنها بدت قاسية القلب، فهو الذي كان يستعد لهذا اليوم طوال عام كامل، كان يحرِم نفسه من أشياء كثيرة ليجمع المال ليشتري لها هدية مميزة تليق بمكانتها وتدل على مشاعره نحوها.

بذل عادل جهدًا كبيرًا ليشتري لها سلسلة فاخرة وأنيقة، مرصعة بلؤلؤة لامعة، واختار لها علبة من القطيفة الزرقاء الداكنة، واستعد للذهاب إليها مرتديًا أجمل ملابسه، ووضع العلبة في جيب بنطاله، وحمل لها كعكة من الشوكولاتة التي تعشقها، ولكنه لم يكن يعلم أن هذه الليلة ستكون الأسوأ في حياته.

اتصل عادل بأسماء وأخبرها بنبرة صوته الرخيمة أنه في الطريق إليها. كانت أسماء تراه يفتقد نبرة الرجولة التي يتمتع بها أدهم.

رن عادل جرس الباب، فدخلت أسماء إلى غرفتها، وأخبرت أختها الصغيرة أن تفتح له.

دخل عادل ووضع الكعكة أمامه على الطاولة، ثم جلس ينتظر أسماء بفارغ الصبر.

تعمدت أسماء تركه مع والدتها وأختها لأكثر من نصف ساعة، ثم خرجت إليه بمنتهى الأناقة، لكن هذه المرة، لم يكن في تحيتها له اللهفة التي اعتاد عليها، فقد كانت شديدة البرود وتتجنب النظر إليه.

طلب عادل من خالته فنجانًا من الشاي، ثم اقترح على أسماء أن يتناولاه في حديقة المنزل، فترددت أسماء لحظة، لكنها وافقت بعد ذلك، لأنها أرادت إخباره بقرار خطبتها لأدهم. خرجت معه إلى الحديقة، وجلست على مسافة قصيرة منه، مما أثار دهشته. طلب منها أن تتذوق الكعكة التي أحضرها لها وتخبره برأيها في اختياره. لم تبدِ اهتمامًا، وقالت له: "لا أرغب الآن يا عادل."

هذا التصرف غير المعتاد من أسماء جعل عادل في حيرة من أمره، وجلس ينظر إليها وكأنه يرى في عينيها ما يقلقه، ولكنه كان يكذّب إحساسه. وضع يده في جيبه، وقال لها:

"أغمضي عينيكِ الجميلتين."

ثم أخرج العلبة وفتحها، وقال لها:

_ أنظري إلى هديتك الرائعة.

نظرت بابتسامة خفيفة، وقالت له:

_ على الرغم من خفتها، ولكنها جميلة.

اصطدم عادل برأيها، وبدأ العرق يتصبب من جبينه، ثم أمسك بالسلسلة، قائلًا:

_ ارفعي شعرك قليلًا حتى أضعها في عنقك الساحر.

ولكنها أبعدته عنها، وأخذت منه السلسلة، وأغلقت العلبة، وقالت له ببرود:

_ جميلة يا عادل، أشكرك.

انصدم عادل من رد الفعل، وتعجّب، قائلًا في نفسه: "لقد وضعت فيها كل ما أملك، بل واقترضت أيضًا المال، وهي لم تهتم حتى أن تضعها في رقبتها."

ظهرت آثار الصدمة على وجهه، وهنا قررت أسماء أن تخبره:

_ اسمعني يا عادل، والدي أعطى عمي وعدًا بإتمام زواجي من أدهم، وأنا لن أخرج عن طوع والدي، وعلينا أن نستسلم للواقع، فأنا لا أملك من أمري شيئًا، وأنت أحوالك المادية لن تقنع والدي.

كان عادل يستمع إليها وكأن السماء انطبقت على رأسه، ولا يصدق أن هذه حبيبته منذ ستة أعوام.

وفاق من غيبوبته على صوت جرس الباب، وأدهم ووالده ووالدته يدخلون بعدد لا بأس به من الحلوى. أسرعت أسماء وسلّمت عليهم بحرارة، ثم أحضرت لهم العصير، وفتحت علبة كعكة الفراولة التي أحضرها أدهم، وأبدت إعجابها الشديد بها، وقطعتها، ثم وضعت منها قطعًا في الصحون، وهي تأكل منها وتستلذ بطعمها، بالرغم أنها لا تحب الفراولة أبدًا، وحتى لم تقدِّم طبقًا لعادل.

قدَّم أدهم لأسماء علبة قطيفة خضراء، بداخلها خاتم من الألماس الباهظ الثمن، فالتقطته من العلبة بفرحة، ووضعته في إصبعها، وقالت له: "مدهش جدًا يا أدهم، هذا الخاتم أروع هدية وصلتني."

جلس عادل كالغريب بينهم، وفي ذهول تام نظر لأسماء يتعجب من هذا التغيير المفاجئ، ولكن لم يلتفت أحد لوجوده، حتى عندما قال لهم إنه سيغادر، لم يطلب منه أحد البقاء، وتركوه يمشي بلا أدنى اهتمام.

جلست أسماء بالكرسي الذي بجانب أدهم، ولكن أدهم كان يضغط على نفسه ويتحدث إليها بثقل، وكانت أسماء تشعر بذلك، فهي ذكية، ولكنها لم تهتم، فقد كانت خطوبتها لأدهم أكبر انتصار لها على ابنة عمتها لينا، وابنة عمها حنان، وجارتهم سهى، وريم ابنة خاله، ولطيفة خطيبته السابقة، وغيرهن من بنات العائلة والجيران والعمل.

لم يمضِ عدة أيام، وتمت الخطبة في حضور عائلي، فقد أخذوا قرارًا أن العرس سيتم خلال شهر على الأكثر. ولم يحضر عادل الخطبة، ولكن لفت نظره الصور التي وضعتها أسماء على حسابها الشخصي، فقد كانت ترتدي في رقبتها السلسلة التي أهداها لها يوم عيد ميلادها، وأضافت للسلسلة عليقة من الذهب، خلف فص اللؤلؤ، تحمل اسم أدهم.

"يا لها من وقحة." هكذا وصفها عادل، والدموع في عينيه.

ولكن شمله لطف الله، فجاءه عقد عمل إلى الخارج، ليبدأ حياة جديدة يتخلص فيها من آلامه، ويخرج من صدمته. وحمد الله على أن موعد سفره قبل تاريخ العرس.

بدأت أسماء في تحضير فستانها، الذي أصرت أن تجعله أسطورة العصر، وأخذت بشراء كل ما تحتاج إليه بإسراف وتبذير، وانشغلت في شراء ملابسها وعطورها، والذهاب إلى أرقى مراكز التجميل، واتفقت مع أشهر مصفف للشعر، وأشهر خبيرة تجميل لتزيينها ليلة زفافها.

الفصل السابع
ليلة الزفاف

تم زفاف أسماء على أدهم، وكانت ليلة الزفاف كأنها من ليالي ألف ليلة وليلة، فقد أُقيمت في أفخم فندق بالبلد، وأحياها ألمع الفنانين، وحضرها صفوة المجتمع من أصحاب المناصب والثراء. وكان فستان أسماء أبيض ناصعًا، مرصعًا بالألماس وحبات اللؤلؤ، لدرجة أن كل فتاة أصبحت تحلم بارتداء فستان زفاف بهذا الجمال والثمن الباهظ، الذي بلغ حد الإسراف. ومن وجهة نظر بعض نساء وفتيات الطبقات الراقية، اعتبرن أن الفستان، على الرغم من ثمنه الباهظ، يفتقر إلى الذوق الرفيع الذي يليق بالأميرات. فكان رأيهن في أسماء وفستانها لم يكن إيجابيًا، حيث اعتبرن أن كثرة البهرجة والمبالغة في الزينة جعلت منها كجسم براق يتحرك على الأرض. فهل رأيهن كان في محلّه أم هي غيرة النساء؟ كانت أسماء محط الأنظار للجميع، وبدت معظم الفتيات يشعرن بالغيرة من حظها في الزواج من أدهم. ومع ذلك، لم تكن الغيرة بسبب جمالها أو تميزها، بل لأنها في نظرهن فتاة عادية لا تستحق هذا الحظ، إلا بفضل ثروة والدها وعمها وعريسها أدهم، الذي كان الزواج منه حلمًا لجميع فتيات البلد.

منذ الليلة الأولى، لم يشعر أدهم بأي رغبة أو شوق تجاه أسماء. لم يظهر أي اهتمام بها، ولم يبدِ إعجابه بفستانها أو مظهرها. لم تظهر عليه أي علامات فرح، حتى خلال العرس، لاحظ الجميع عدم فرحته، وبدا شاردًا، وتكشيرته واضحة للجميع، مما دفع الناس للتغامز فيما بينهم. بدأت مأساة أسماء الحقيقية عندما لم يخدمها

الحظ، ولم تستطع أموالها وألماساتها جعل أدهم يحبها أو حتى يستلطفها. فمنذ الليلة الأولى، وبمجرد دخولهم غرفة نومهم، أخبرها أدهم أنه يفضل النوم في غرفة منفصلة، ويقضيان الوقت معًا في غرفتها، ولكن وقت النوم سينام في غرفة أخرى، نظرًا لأن الفيلا واسعة وتضم العديد من الغرف. اعترضت أسماء وبكت، وسألته عن رد فعل الخدم وماذا عن مشاعرها هي؟

فرد عليها أدهم باستهزاء:

_ هل كل ما يهمكِ في الأمر هو رأي الخدم؟

اتهم أدهم أسماء بأن كبرياءها وغرورها هما من يحركانها، وأنها تزوجت به فقط لترضي غرورها لأنه فضّلها عن باقي بنات العائلة. وأخبرها أن الحقيقة هي أنه لم يفضّلها، بل والده هو من اختارها له، وأن زواجه منها كان أسوأ شيء حدث له في حياته. ثارت أسماء أكثر فأكثر، وأخبرته أنها لن تقبل بذلك الوضع المهين، فهي طالما حلمت أن يشاركها كل تفاصيل حياتها. فكان رد أدهم عليها في منتهى القسوة، حيث أخبرها أنه لن يتنازل عن رأيه، وطلب منها أن تكون أكثر عقلانية ورشدًا. وأضاف أن قراره هذا يأتي من عادات الناس الراقية المتحضّرة.

وأشار إلى أنه يفضل هذا الوضع ليحافظ على مظهرها أمامه، فربما عند استيقاظها من النوم ستغسل وجهها وتزيل تلك المساحيق الملوّنة التي تغطي ملامحها، وحينها قد لا يعرفها. كما أشار إلى احتمال صدور أصوات شخير منها أثناء نومها، مما قد

يسبب له الضيق. وأخيرًا، أبدى تفضيله لوجود دورة مياه خاصة به في غرفته. ثم طلب منها أن تخلع هذا الفستان المبهرج، الذي يفتقر إلى الجمال والرقة، وأن تعيد تصفيف شعرها بشكل أفضل، كما طلب منها تصحيح مساحيق وجهها الملطخة بالحمرة، واستبدالها بألوان أكثر هدوءًا وجمالًا، وأشار إلى ضرورة إزالة البرونز الذهبي الذي لا يتناسب مع فستانها الأبيض المرصع بالألماس. ثم قال لها باستياء:

_ وما هذه الدهانات التي على بشرتك التي جعلتك تبدين وكأنك خرجتِ للتو من تحت يد نقاش، وليست خبيرة تجميل؟

_ واخلعي حذاءك الضيق الذي جعلكِ طوال العرس تمشين كالروبوت الآلي، وكأنكِ أحد الألعاب الكهربائية.

ثارت أسماء وبكت وانهارت، وبدأت تهذي بعبارات غاضبة، واتهمته قائلة:

_ أنت لا تحبني، فكيف تتجرأ على إهانتي بهذا الشكل والاستهزاء بمظهري دون أي اهتمام لمشاعري؟ ولم تشعرني أني عروستك؟

جلس أدهم على الكرسي، وتناول تفاحة، وانشغل بأكلها دون أن يعبأ بثورتها وبكائها، ثم ضحك بصوت مرتفع، وباستهزاء واضح قال لها:

_ اخلعي طرحتك المزركشة يا عروس المولد، أقصد يا عروستي.

ازدادت ثورتها، وقالت له وهي تجزّ على أسنانها:

_ قلت لك إنني لن أقبل هذه الإهانات ولا هذا الأسلوب الساخر.

وقف أدهم وقال لها:

_ هذا هو أنا، وهذا ما عندي، ولن أتغير، سواء قبلتِ أو رفضتِ.

ثم نظر لها باشمئزاز، وتهيأ له أن شوقي، أخوها، يقف أمامه وهو يضع مساحيق تجميل على وجهه، وكتم ضحكة سخرية واضحة، وخرج من غرفتها بكل تبلّد وهدوء، ثم دخل غرفة أخرى، وهو يضع يده على فمه ليكتم ضحكته، ثم أغلق الباب، وانفجر ضاحكًا بصوت عالٍ، مقهقهًا قهقهة رجل بارد، متبلّد الشعور، وعديم الإحساس.

قضت أسماء ما تبقى من ليلتها غارقة في البكاء، فقد دمّر أدهم فرحتها، ولم تشعر لحظة واحدة بأنها عروس حقيقية. وتأكدت أن لا قيمة لها في قلبه، بل إنه كان يهرب من رائحة أنفاسها أثناء حديثه معها، مما أكد لها أنه لا يكنّ لها أي مشاعر.

وفي الصباح، اتصلت أسماء بوالدتها وأخبرتها بما حدث، فنصحتها قائلة: "لا تظهري حزنك اليوم أمام الضيوف حتى لا يشمت بكِ أحد، واصبري يا ابنتي، فكل شيء سيتغير مع الوقت."

سمعت أسماء كلام والدتها، ولم تُظهر حزنها لأي شخص، وتظاهرت بالفرحة والسعادة. ولم يفكّر أدهم في الدخول إلى غرفتها

إلا بعد مرور ما يقرب من شهر، بعدما تدخل والده سرًا في الأمر، وطلب منه أن يقوم بواجباته الزوجية ويكف عن الاستهتار وعدم تحمل المسؤولية. نفّذ أدهم كلام والده على مضض، لكنه كان لا يطيق تلاقي أنفاسه بأنفاسها. أما هي، فلم تشعر للحظة واحدة بأي سعادة، فقد كانت تشعر أنه يعاملها كالحيوانات، بل الحيوانات قد تحمل مشاعر عنه.

عاشت أسماء حياة مرفّهة، لكنها لم تكن تشعر بأن الزواج قد أضاف لها شيئًا، فحياتها في بيت والدها كانت مرفّهة أيضًا. وكانت ترى أن زواجها لم يأتِ لها سوى بالذل والحزن والأسى. ثم بدأت تتذكر عادل، الرجل الذي جرحته، وكيف كانت ترى في عينيه مشاعر الحب واللهفة، وفي لمسته دفء وحنان. وبدأت تعتقد أن ما هي فيه، هذا عقاب الله لها. أما أدهم، فلم يعجبه أي شيء فيها، لا ملابسها ولا عطرها، وكان يرى كل شيء فيها عاديًا بالنسبة له، بل اتهمها بأنها لا تمتلك ذوقًا في اختيار متعلقاتها الشخصية، وكان يستثقل روحها ويشبهها بالروبوت. وتطوّر الأمر، فأصبح يتحدث في هاتفه أمامها مع نساء أخريات، ولا تعلم من هن. وعندما كانت تسأله، كان يثور عليها، ويقول لها إن هذا عمله، ويأمرها بعدم التدخل فيما لا يعنيها. عاشت معه دون أن يكون لها أي دور في حياته، فكان يتهرب من مرافقتها في المناسبات العائلية، ولم يعرفها يومًا على زوجات أصدقائه، ولم يكن يأخذها معه في أي مناسبة سواء عامة أو خاصة، وكأنها لا وجود لها في عالمه. وحتى دبلة

الزواج، خلعها من إصبعه. حتى عادل، تزوج في الخارج، ويبدو أنه سعيد مع زوجته، حتى عندما تواصلت أسماء معه بحجة تهنئته، جعل زوجته ترد على اتصالها أولًا، مما جعلها تشعر بالإهانة.

عاشت أسماء لأبنائها الثلاثة، في كل مرة كانت تعتقد أن المولود الجديد سيغير الوضع للأفضل، لكنها أدركت أن هذا مجرد كلام والدتها، والحقيقة أن الرجل الذي لم يتغير مع أول مولود، لن يصلحه أي مولود آخر.

وذات يوم، كانت أسماء تجلس مع ابنة خالتها نجوى، التي جاءت لزيارتها. نجوى هي أخت عادل المقرّبة، ولهذا أخذت أسماء تحكي لها عن سعادتها مع أدهم، وتتحدث عن حبه الشديد لها واهتمامه بها، وتقول إن كل شيء يفعله يكون بمشورتها، وأخذت تصف كيف يلاطفها ويدلّلها، ويتناول العشاء معها على ضوء الشموع، ويعانقها ويغازلها طوال الليل. وأضافت أنه يذهب إلى عمله صباحًا على مضض، لأنه لا يريد تركها. حتى حدث ما لم يكن في الحسبان. حضرت امرأة جميلة، مبالغة في زينتها وملابسها، مما جعلها تظهر كالراقصات، وفي يدها طفلة صغيرة تبلغ من العمر ثلاث سنوات تقريبًا. وقفت أسماء في دهشة وسألتها:

من أنتِ؟ وماذا تريدين؟

فأجابتها:

اسمي منى، وأنا زوجة رسمية لأدهم منذ أربع سنوات، وهذه الطفلة ابنتنا جنا. لم تصدق أسماء ما سمعته، واتهمت منى بأنها امرأة مأجورة من أعدائهم، وجاءت لتدمّر حياتها باتهام زوجها بهذا الفعل المشين. ثم اتهمتها بأنها امرأة ساقطة، وانهالت عليها بالشتائم والألفاظ البشعة، وطردتها من المنزل. فعايرتها منى قائلة: "أنا لست ساقطة، أنا زوجته التي يحبها ويستلقي بجانبها، ويكفي نفوره منكِ، بدليل أنه لا يطيق رائحة أنفاسك، وينام بغرفة منفصلة بمفرده منذ أول ليلة، ولم يقربكِ إلا بعد شهر بعد أن أمره والده."

وقف الخدم في حالة دهشة، وكذلك ابنة خالتها نجوى، التي سمعت وشاهدت كل ما حدث، مما أفسد كل ما روته أسماء عن علاقتها الحميمة بأدهم، وانقلب كل كلامها إلى كذب وفضائح بعد ظهور منى اللعينة، وإعلانها زواجها من أدهم.

ارتسمت على شفتي نجوى ابتسامة صفراء ممزوجة بنظرة سعادة وشماتة، ثم طبطبت على كتف أسماء واستأذنت منها في الذهاب، لأنها تذكرت عملًا مهمًا، واعتذرت عن تناول الغداء معها كما وعدتها. ولكن أسماء كانت تعلم جيدًا أن تلك الخبيثة تريد الذهاب بسرعة لإخبار الجميع بما حدث، وكلها ساعات قليلة، وستكون فضيحتها في كل بيت، وعلى كل لسان. ثم قالت وهي تضرب رأسها: "وحتمًا نجوى الثرثارة ستخبر خالتي، وخالتي ستخبر الجميع، وستقول لهم: "هذا ذنب ابني عادل." وستخبر بالطبع

عادل بما حدث، وسيشمت عادل فيّ، وستشمت العائلة والمعارف والأقارب والجيران."

اتصلت أسماء بوالدها ووالدتها وإخوتها، وطلبت منهم الحضور فورًا، وحكت لهم كل ما حدث، ولكن والدها طلب منها مواجهة أدهم قبل اتخاذ أي قرار، واتصل به وطلب منه الحضور.

حضر أدهم، وبمواجهته، لم ينكر ولم يدافع عن نفسه، فاعترف بأنه متزوج منى منذ أربعة أعوام، وقال إنها هي من لاحقته باهتمامها وحبها له. وأضاف أنها تعمل مضيفة أرضية في إحدى شركات الطيران، وتعرّف عليها بالصدفة، وجذبته بلباقتها، ولاحقته باستمرار، حتى إنه يشك في أنها قد مارست أشد أنواع السحر عليه، لأنه فعل كل شيء دون إرادته. ولكن أسماء صرخت في وجهه، واتهمته بالكذب، وأنه يريد تبرئة نفسه بتلك الحجج التافهة، وأن هذا لن يعفيه من تحمل مسؤولية خطئه، وطلبت منه أن يطلقها. ثم قالت له: "لقد رويتَ لهذه الساقطة أسرار علاقتنا الزوجية، ألا تخجل من نفسك؟"

وهنا وصل والد أدهم، وقام بتعنيفه، وأخبره أنه لن يعترف بابنته من تلك المرأة التي تزوجته طمعًا في ماله، وأخذ يحاول تهدئة أسماء ابنة أخيه، وطمأنها بأنه سينهي الأمر بالطريقة التي ترضيها. وبعد مفاوضات، قام أدهم بتطليق منى، واتهمها بأنها هي التي خرّبت علاقتهما، وتسببت في هدم استقرارهما بفعلتها الحمقاء. وكانت صدمة منى في أدهم قوية، فقد كان يصوّر لها أنها حبيبته، ولا يمكنه

الاستغناء عنها أبدًا، وأنه يحب ابنته جنا حبًا شديدًا عن باقي أخواتها من زوجته أسماء، وأكل عقلها بمعسول الكلام، وعذب الحديث. حاولت منى استمالته، فتحدثت معه بعقلانية، وذكرته بعشقهما، والسنوات الجميلة التي بينهما، وابنتهما جنا المتعلّقة به، ماذا سيكون مصيرها، وكرامتها وسمعتها بين الناس، وعملها الذي تركته من أجله. ولكن أدهم لم يتأثر، وأخبرها بأنه سينفق عليها من أجل خاطر حبه لابنته جنا، وأمرها بعدم الخروج من المنزل، وتركها مع الخادمة، مع ضرورة رعايتها رعاية تامة. وأمرها أيضًا أن تحافظ على سمعتها، وهددها بأنه إذا سمع عنها أي شيء يسيء إلى سمعتها، فسيحرمها من ابنتها. وأكد لها أنه إذا فكرت في الزواج، فإن ابنته ستكون من حقه، وأنه لا يحتاج أن يذكرها بسلطته ونفوذه. وأنه سيترك جنا لها، لأنه يعلم أن أسماء ستكون زوجة أب قاسية عليها. بكت منى، وقالت له باستهزاء: "أنت فعلًا في منتهى الكرم والشهامة."

تركها أدهم وهي في كامل صدمتها منه، وأخذ يضحك ويقهقه ويتهمها بالغباء، قائلًا:

_ لا توجد امرأة على وجه الأرض تتحدى أدهم وتتخيل أنها ملكت قلبه.

وبالرغم من طلاق أدهم لمنى، فقد أصرت أسماء على الطلاق هي الأخرى، فهي كانت تعيش معه لأن الناس لا تعلم حقيقة مأساتها مع أدهم، ولكن الآن الفضيحة أصبحت على مسمع ومرأى

الجميع، فلمَ إذًا تستمر حياتها مع هذا الفاسد؟ ولكن بالطبع والدها وعمها وكل العائلة رفضوا، فماذا تريد بعد أن أجبروه على طلاق زوجته منى؟

ثم أقسم والدها وحذرها إن لم تتراجع عن قرار الطلاق وتحسن علاقتها بأدهم، فسوف يأخذ منها أبناءها ويحبسها في منزله، ولن ترى العالم الخارجي مرة أخرى. وأضاف، قائلًا لها: "مصطلح الطلاق ليس في قاموس عائلتنا، حتى وإن تزوج ألف امرأة غيرك، فاحتوي زوجك، هذا أفضل لكِ."

خافت أسماء من كلام والدها، وشعرت بمرار القهر، وتذكرت كم مرة حاولت إرضاء أدهم، ولكنه لا يطيق أنفاسها، ويبحث في كل امرأة تعجبه عن متعته، ولا يراها، وكأنها ليست أنثى بعينيه، ولا تشبع رجولته. فماذا تفعل إذًا؟ لا مفر من قدرها، اضطرت أن تقبل الأمر وتعيش مع أدهم مكسورة النفس والقلب، وهذا بالطبع جعله يزيد في غيظه وإهماله لها، وكان دائمًا يقول لها:

_ لا أعلم لماذا كل النساء تثيرني إلا أنتِ؟

كانت تتظاهر أمامه بالشموخ والكبرياء، وتنظر إليه بازدراء، وكأنها لم تسمعه. ولكنها كانت تغلق على نفسها باب غرفتها وتكتم أنفاسها وهي تبكي حتى لا يسمعها. فكرت كثيرًا في أن تهرب، ولكن كيف ستترك أبناءها؟ فهي تعشقهم ولن تعيش بدونهم، وحتمًا إذا هربت سيعثرون عليها ويقتلونها، فعائلتها لا تعرف الرحمة.

مضت الأيام والشهور، وهي تخشى مقابلة أقاربها وصديقاتها، حتى لا ترى نظرة الشماتة في أعينهم، وكانت تفكر في فرحة عادل وقتما سمع بما حدث لها. بعد ثلاثة أعوام، توفي عمها والد أدهم، وأصبح أدهم هو من يتحكم في كل كبيرة وصغيرة، وازداد أدهم قوة وصلابة، فقد أصبح بلا حاكم ولا رقيب، فقد كان والده مسيطرًا، أما الآن، فهو كبير نفسه.

تولى شوقي، أخو أسماء، كل مهام والده، وكان لا يقل قسوة عنه، فكان يعامل إخوته بشدة وحزم، وخصوصًا أسماء، فهو يدرك تمامًا مدى غرورها وكبريائها الأحمق، الذي هدمه أدهم وكسر أنفها. ازدادت حياة أسماء مرارًا وذلًا وهوانًا، وكانت تسمعه كل ليلة يتحدث مع نساء أخريات، خاصة نيفين السكرتيرة الخاصة. كانت تسمع ولا تسأل، ولا تتكلم، ولا تعترض، وكأنها قد اعتادت على الخزي، وامتثلت، وخنعت لحياة الذل والمهانة.

الفصل الثامن
الجريمة المستترة

علمت نيفين، السكرتيرة الخاصة لأدهم، بكل ما حدث معه وبزواجه من منى، وأدركت خداعه لها، واشتعلت النار بينهما. وكانت المفاجأة، فأدهم متزوج منها بعقد عرفي، واحتفظ بالعقد معه، وكان هذا شرطه عليها ألا يمنحها أي عقد إثبات. وعندما علمت نيفين بزواجه الرسمي السري من منى، وأنه أنجب منها ابنة عمرها ثلاث سنوات، هنا أدركت مدى رخصها في عينه. ولكن أدهم بجبروته أخبرها أنه سيحرق العقد العرفي الذي بينهما، وسيطردها من الشركة إن لم تنتهِ عن افتعال المشاكل، فهو لن يسمح لها بمحاسبته.

لم تهدأ نيفين وهددته بأنها ستفضحه، وستقدم الأوراق التي تثبت تهربه من الضرائب إلى مصلحة الضرائب، وستكشف عن كل أوراقه وألاعيبه للشركات المنافسة، فهددها قائلًا: افعلي ذلك، وأنا سوف أقتلك أو سأدفنك حية.

خافت نيفين خوفًا شديدًا، وعلى الرغم من قوة شخصيتها، إلا أنها لا قيمة لها أمام نفوذ ومال أدهم. كانت نيفين امرأة ذات جمال فاتن، وروح متقلبة، وفكر مضطرب، وأفعال متهورة. هي تعمل في مجال التسويق، وتتمتع بشخصية مرحة وجذابة، ومع ذلك، كانت هناك جوانب مظلمة في شخصيتها، جوانب لم يكن أحد يعرفها جيدًا.

كانت علاقات نيفين متوترة مع من حولها، وكانت تتصرف بشكل متقلب، فمرة تكون لطيفة، ومرة أخرى تكون قاسية دون

سبب واضح. وكان أصدقاؤها وزملاؤها في العمل يتجنبونها، فكانت تتصرف معهم بشكل عنيف، وبعض الأحيان تقول كلمات جارحة دون الاهتمام بمشاعر الآخرين، فبدأت علاقاتها تنهار واحدة تلو الأخرى، وكان الناس يتحدثون عنها بشكل سيئ، فقد كانت علاقتها بأدهم معروفة وواضحة، وكانت تستغل تلك العلاقة في محاربتهم.

اضطرت نيفين أن تصمت، وقررت إصلاح علاقتها بأدهم من جديد، فحاولت إرضاءه بشتى الطرق، ولكنه لم يعد يثق بها، وأصبح يحتاط منها.

مر عام والأمور تسير على ما يرام، حتى فعلت نيفين كما فعلت منى، ولكن بذكاء، واتفقت سرًا مع من يتصل بأسماء ويخبرها بزواج أدهم منها، حتى تشتعل المشاكل مرة أخرى بينهما. ولكن هذه المرة كانت مختلفة، فقد أصبح أدهم كبير نفسه بعد وفاة والده، ولا حكم لأحدٍ عليه.

ومع اشتعال العراك بينه وبين أسماء، اعترف لها بكل قسوة وجرأة أنه بالفعل متزوج من نيفين. ولكنه بالطبع لم يعترف بذلك حبًا في نيفين، ولكنه اعترف كرهًا في أسماء، ورغبته في إذلالها، ولأول مرة يواجهها بعلمه بعلاقتها السابقة بابن خالتها عادل، وأنها تزوجته فقط لأنه عريس رائع واستثنائي، وأنه أكثر رجولة وأكثر وسامة من عادل، وفاجأها بأنه يعلم بأن السلسلة التي ارتدتها يوم خطبتهم كانت هدية منه، وأنها بكل بجاحة وضعت اسمه بها لتكيد عادل.

وأخبرها أنه يحتقرها منذ البداية، ولم يواجهها بذلك كل هذه السنوات الماضية لأنها لا تعني له أي شيء، وأنه تزوجها فقط تحت ضغط من والده.

اتصدمت أسماء، وأنكرت كل ما قاله، واتهمته بالجنون، وحاولت تعرف منه من أين جاء بكل هذه المعلومات المغلوطة، فلم يجبها، وتركها تحترق بنار كلماته، فلو كان يحمل لها ذرة مشاعر أو غيرة عليها، لم يكن ليصمت كل هذه السنين الماضية.

وهنا تأكدت أسماء أنها فعلًا مجرد سراب بالنسبة له.

وقد كانت رحاب صديقة مشتركة بين نيفين ونجوى أخت عادل، وهي من أخبرت نيفين بالقصة كاملة، وبالطبع نيفين كانت الغيرة تحرق قلبها، فلم تحفظ السر، وكشفت لأدهم كل شيء، وأفسدت علاقته بأسماء أكثر وأكثر.

مضت الأعوام وبقى الوضع كما هو، بل وازداد سوءًا، فأصبحت نيفين هي سيدة الموقف، وتظهر معه في كل الأماكن، وينام معظم الليالي في منزلها.

ولكن نيفين ما زالت زوجة بعقدٍ عرفي، وحتى لا تملك منه صورة، وقد رفض أدهم أن يعقد عليها رسميًا حتى بعد إعلانه زواجه منها.

وازدادت أسماء حسرة، فقد كانت مهمّشة إلى أقصى حد، حتى جنا ابنته من منى، كان يقضي العطلة معها في منزل نيفين.

كانت نيفين تلازم أدهم في كل شيء، من شراء احتياجات جنا، إلى مرافقتهما في النزهات والمصايف، وخلافه. حتى والدتها منى لم يكن مسموحًا لها بالتدخل، فنيفين كانت هي المسؤولة تمامًا. وكان هذا بالطبع يحرق قلب أسماء.

حاولت أسماء مرارًا أن تتفاهم مع أدهم، موضحة له أنها على استعداد للقيام بدور في استضافة جنا ابنتِه عندها في منزلها، والعناية بطلباتها، وتوطيد علاقتها بأخواتها، لكنه رفض ذلك.

هو كان يعلم أنها تريد فعل هذا فقط لإغاظة نيفين، ولمحاولة سحب السجادة من تحت قدميها، فهي تعلم أن نيفين لم تنجب أطفالًا منه، وأنها حاولت كثيرًا ولكن الله لم يشأ، وكأنه يعاقبها على تخليها عن ولدها الوحيد من شامل.

ومرت الشهور وأدهم لم يستقم، فما زال له كل فترة علاقة مع إحدى النساء، فكل امرأة تعجبه يقيم علاقة معها. كانت نيفين تعلم ويحترق قلبها، ولكنها كانت تتجاهل وكأنها لم تعلم، وتحاول بكل الطرق أن تبعد عنه أي امرأة تقترب منه، حتى كانت تهددهن بأبشع التهديدات، وتقذفهن بأبشع التهم والشتائم، وتتسبب لهن في الفضائح حتى تنهي تلك العلاقات، وتم بها الأمر إلى اللجوء للسحرة والمشعوذين.

كانت نيفين تشعر بالغيظ الشديد من علاقاته الفاسدة، حتى غلبها شيطانها، ووسوست لها نفسها الفاسقة أن تقيم علاقة مخلة مع معتز، أحد الموظفين الجدد في الشركة، فقد كان يغازلها ويتودد إليها منذ شهور.

معتز شاب وسيم ومفعم بالحيوية، يصغر نيفين بأحد عشر عامًا، وقد سمع عنها الكثير من القصص السيئة.

علم معتز أنها متزوجة من أدهم صاحب الشركة بعقد عرفي، مما يعني أنها محرومة من جميع حقوقها الشرعية، ولكنه سمع أن أدهم ينفق عليها بسخاء، لدرجة أنها أمنت مستقبلها من ماله.

واستمرت العلاقة بينهما سرًا، وكانت تقابله لفترة قليلة في أوقات انشغال أدهم عنها. حتى جاء اليوم الذي سافر فيه أدهم إلى الخارج لإنهاء بعض الأعمال، وفي هذه الفترة اقترب معتز من نيفين أكثر، وزادت المحادثات الهاتفية فيما بينهما طوال الليل، واستأجرت منزلًا لمقابلاتهما السرية.

وتطور الأمر للخروج المستمر معًا كل يوم بسيارتها التي أهداها أدهم لها، ويتناولان الغداء في أفخم المطاعم، وبالطبع هي من تنفق المال عليه، بل وأيضًا اصطحبته إلى أكبر المولات، واشترت له كل ما يلزمه من ملابس وأحذية وقمصان وبدل من أغلى الماركات، وكل ذلك بالطبع من مال أدهم، فقد كان يترك لها المال دون حساب.

عاد أدهم من السفر وقلَّت اللقاءات بين نيفين ومعتز لدرجة وترتهما، فكانت تنتظر بفارغ الصبر الليلة التي يقضيها أدهم عند أسماء، وكانت تسهر لإجراء مكالمة مرئية معه لتعويضه عن بُعدها عنه، وفي بعض الأحيان كانت تقابله سريعًا لتعطيه ما يلزمه من مال.

وبدأ أدهم يشعر بتغيير في أسلوب نيفين، ولكنه اعتقد أنها تريد إثارة غيرته، فلم يكن يتخيل أن أدهم، الرجل الوسيم الأنيق الثري، يمكن أن تخونه أي امرأة على وجه الأرض.

وذات يوم أخبر أدهم نيفين أنه سيسافر لمدة شهر، فأشرق وجهها بالفرحة، ولفت هذا نظر أدهم، ولكنه لم يقل شيئًا وطرد أي ظن أو وساوس من داخله.

سافر أدهم، وعادت نيفين للقاء معتز والخروج معه بصفة يومية، حتى اقترح عليها في صباح أحد الأيام السفر إلى مكان ساحلي لقضاء اليوم، فوافقت نيفين فورًا دون تردد، وصمم معتز أن يقود السيارة بنفسه.

وفي الطريق حدث ما لا يُحمد عقباه، فسار معتز بالخطأ في اتجاه معاكس، فاصطدم بسيارة أخرى، وتم نقلهما إلى المستشفى، ولكن حالة نيفين كانت الأسوأ وبها بعض الكسور، أما معتز فقط أُصيب ببعض الجروح والخدوش.

لم تجد نيفين طريقة تخرج بها من هذا المأزق اللعين، فطلبت من أخيها وحيد الحضور، وطلبت من معتز الانصراف فورًا.

جاء وحيد وعلم أن نيفين قالت في محضر الشرطة إنها هي التي كانت تقود السيارة، ولكن الشهود قالوا إن هناك رجلًا هو الذي كان يقودها، أنكرت نيفين طبعًا، وقام وحيد بعمل اتصالاته وحل الموضوع حتى لا تكبر الفضيحة، خصوصًا أن صاحب السيارة الأخرى بخير وبه بعض الجروح السطحية.

قام وحيد بالتفاوض معه وتم التنازل عن المحضر، ودفع الغرامة اللازمة للمرور. نقل وحيد أخته إلى مستشفى أخرى قريبة من منزل والدتهما، ثم أخبر أدهم أنها تعرضت لحادث بسيط، وأن بها بعض الكسور البسيطة، وأن كل شيء سيكون على ما يرام. رجع أدهم من السفر قبل فك نيفين للجبس بثلاثة أيام، وسألها العديد من الأسئلة التي تلجلجت في الرد عليها:

_ فمتى حدث الحادث بالضبط؟ وأين كان؟ ولماذا لم تخبره بأنها ستخرج؟ ومن الذي صدمها وهرب بسيارته؟ ولماذا وحيد لم يُحرر محضرًا بما حدث؟

فقالت له:

_ وحيد لم يفكر إلا في سلامتي، خصوصًا أنه ليست هناك كاميرات في مكان الحادث، وأنا لم ألمح السيارة التي صدمتني، فقد كانت ربع نقل، ولم ألمح غير لونها الأبيض، وأنا كنت في طريقي لزيارة والدتي.

لم يقتنع أدهم بروايتها وذهب إلى المستشفى وسأل بها، وعلم أنها منقولة من مستشفى على الطريق الساحلي، فذهب أدهم إلى هناك وعلم كل شيء، وعلم التضارب في الأقوال بين نيفين وبين الشهود.

صمت أدهم ولم يُخبرها بأنه على علم بما حدث، وقام باصطحابها إلى أحد المصايف بحجة أن تقضي فترة نقاهة، وطلب

من مدحت أقرب أصدقائه أن يضع كاميرات مخفية في كل أنحاء الفيلا. وبعد الرجوع من السفر، تعمد أن يترك لها الحبل حتى يكشف أمرها، فتحجج بأنه مسافر مع أسماء أسبوعًا ليفسح فيه أبناءه، وكان بالطبع يراقبها بالكاميرا من خلال هاتفه، فسمع ورأى كل شيء، فسمع محادثاتها مع معتز ورأى الاتصال المرئي بينهم طوال الليل، وشاهدها وهي ترتدي له الملابس الخاصة وتتدلل له بها. كانت صدمته كبيرة، فكاد أن يجن عقله، فأدهم لا يُخان، ومع من؟ مع أحد موظفي الشركة التي يملكها!! فكر كثيرًا وقال في قرار نفسه:

"إن المواجهة فيها إهدار لكرامتي، ولو طلقتها سأتركها تعيش مع ذلك الوغد بأموالي، فأنا أعلم أنها ادخرت أموالًا كثيرة وضعتها في حسابها البنكي، علاوة على المجوهرات الثمينة التي تحتفظ بها في بيت والدتها."

وظل كالمجنون يسأل نفسه كيف سينتقم؟ تشاور مع صديقه مدحت، وتوصلا إلى أن الحل الوحيد في الانتقام منها هو أن لا يدعها تتمتع بأمواله، فكان أول شيء نصحه به هو أن يتزوجها رسميًا، ولكن أدهم ثار وقال له:

_ كيف بعد كل ما حدث يتزوج تلك الساقطة رسميًا؟

ولكن مدحت كان يفكر مع الشيطان، فأخبره أن الانتقام لن يتم بطريقة صحيحة إلا وهي زوجة رسمية له، وشرح له الخطة كاملة.

ذهب أدهم إلى نيفين وكان قد اقترب عيد ميلادها، وأخبرها أنه أعد لها مفاجأة ستسعدها كثيرًا، وبالفعل أخذها يوم عيد ميلادها إلى المأذون وكتب كتابها رسميًا، وازدادت فرحة نيفين بشدة، فلم تصدق أنها أصبحت زوجة رسمية، وأنها ستكون وريثة لجزء لا يُستهان به من المال والأملاك في حالة وفاة أدهم.

وكأن وفاة أدهم كانت أعظم أحلامها.

ولم تكن تعلم أن أدهم لم يكن يكتب كتابه عليها، بل كان يكتب شهادة وفاتها. انتظرت نيفين اليوم الذي ستستلم فيه وثيقة زواجها من المأذون، وعندما استلمتها عادت إلى منزلها وهي ترقص من شدة الفرح.

وفي هذا اليوم كان أدهم يخطط لتنفيذ الجزء الآخر من الخطة الشيطانية التي وضعها مدحت.

قام أدهم بفتح زجاجة العصير الخاصة بنيفين ووضع جرعة زائدة من الأقراص المنومة التي كانت تستخدمها أحيانًا بأمر من الطبيب، وحتمًا ستتسبب لها الجرعة الزائدة في هبوط حاد وستدخل في غيبوبة وستتوفى إن لم يُنقذها أحد. وحتى إن الطبيب كشف أمر الأقراص المنومة، فستكون هي التي تجاوزت الجرعة التي حددها لها طبيبها الخاص.

وفي هذا اليوم أخبرها أدهم أنه سيقضي ليلته عند أسماء. فودعته نيفين وهي تمثل عليه الحزن وقبَّلته قبلة طويلة.

غادر أدهم المنزل وبصق في الأرض قبلتها القذرة، ومسح مكان فمه، وجلس في سيارته وفتح الكاميرا ليرى ماذا سيحدث.

أحضرت نيفين عصيرها اليومي المفضل، الذي كان يعلم أدهم أنها لا تنام قبل أن تشرب منه أكثر من كوب، وكان أدهم يرى ويسمع من خلال هاتفه كل شيء.

جلست نيفين على سريرها بعد أن ارتدت ثيابًا مثيرة، ثم اتكأت على جنبها وهي تشرب العصير وتتحدث مع معتز، وفجأة، أصابها دوار وشعرت بوخز في صدرها، فطلبت من معتز أن يتركها بعض الوقت لأنها تشعر بالتعب وتريد أن تأخذ حمامًا باردًا ومنعشًا. وقامت بالفعل، ووضعت رأسها تحت الماء البارد، ثم أخذت حمامًا باردًا، وكادت أن تقع وهي خارجة من حوض الاستحمام، ثم عادت واستلقت على السرير، ثم اتصلت بمعتز مكالمة مرئية، ولكنها كانت غير متزنة، وظنت أن كوبًا آخر من العصير سينعشها، فسكبت العصير في الكوب وكانت تشرب وهي تبتسم لمعتز وتغازله، ولكن فجأة شعرت باختناق، وانقبض صدرها، ولفظت أنفاسها الأخيرة، وكل هذا ومعتز ينظر إليها وهو في ذهول شديد.

خاف معتز وارتعد، فلم يدرِ ماذا حدث لها، فأنهى الاتصال ومسح سجل المكالمات من على هاتفه وهو في قمة الرعب. كل هذا حدث وأدهم يسمع ويرى.

وفي هذه الليلة نام أدهم وهو في قمة سعادته، ثم استيقظ في الصباح وذهب إلى الشركة، وبعد نهاية اليوم ذهب إلى منزل نيفين

وأخذ من جانبها هاتفها السري الذي كانت تُخفيه عنه، ثم خبأه معه، ثم أخذ زجاجة العصير وسكب الباقي منها في الحوض وغسل الزجاجة. وبمساعدة صديقه مدحت، تم استخراج تصريح الدفن، وقام أدهم بإخبار عائلتها.

استعد أدهم لمراسم الدفن والعزاء وكأنه يستعد لعرسه مثلًا. وكان وجودها طبيعيًا في منزله لحظة وفاتها، فهي زوجته رسميًا، ولم يقدر وحيد أخوها أو والدتها التشكيك في طريقة الوفاة، فلم يكن لديهم دليل واحد على ذلك.

كان أدهم يبكي عليها بحرقة، وأقام عزاءً كبيرًا لها، وكان يتظاهر بالحزن الشديد. وأصبح وريثًا لأغلب أموالها، التي هي في الأساس أمواله.

ولم يقف انتقام أدهم عند هذا الحد، ولكنه قرر أيضًا الانتقام من وحيد، الذي تستر على خيانة وأخطاء أخته. فأطلق عليه الرصاص من خلال خطة دقيقة محكمة وضعها له مدحت أيضًا، وتقيَّدت القضية ضد مجهول.

أما معتز، فلفق أدهم له تهمة اختلاس الأموال من خزنة الشركة.

بالمال، استطاع أدهم أن ينتقم منهم أشرَّ انتقام، والغريب أنه لم يشعر أبدًا بتأنيب الضمير أو الخوف من الله سبحانه وتعالى.

الفصل التاسع
حيلة ذكية

عاش أدهم حياته وكأن شيئًا لم يكن، ومن جهة أخرى شعرت أسماء بالارتياح بعد وفاة نيفين، وشعرت أنها انتصرت أخيرًا دون عناء أو تخطيط منها، فالقدر هو من حالفها الحظ.

وبدأ أدهم في معاملتها بطريقة أفضل مما سبق، حتى لا تنعكس علاقتهما السيئة على نفسية أبنائه، فقد كبروا وبدأوا يتأثرون بالمشاكل.

ولأول مرة، نام أدهم في غرفة أسماء وضمَّها إلى صدره، فلم تصدق أسماء ما حدث، وكأن الدنيا بدأت تضحك لها أخيرًا. وعلى الرغم من شعورها ببرودة أنفاسه، لكنها كانت ترى أن هذه أولى خطوات القرب وستتغير الأحوال حتمًا إلى الأفضل.

لكن أدهم لم يستقم، فقد كان كل فترة مع امرأة مختلفة، وكانت أسماء تعلم بذلك، ولكن كان كل ما يشغل تفكيرها هو ألا يتزوج من غيرها، فهي لن تطيق فكرة أن تشاركها امرأة أخرى فيه على الملأ، فتكون لها كل الحقوق مثلها.

كانت معظم النساء حوله في هذا الوقت يحاولن لفت نظره، خصوصًا بعد وفاة نيفين التي كانت تسيطر عليه ولا تترك مساحة لأي امرأة أخرى لتشغله. فكلُّهن بالنسبة له وقتها كنَّ مجرد نزوات، وبالطبع لا أحد منهن يفكر في أسماء مطلقًا، فهي في نظرهن لا وجود لها.

في إحدى الحفلات التجارية التي يحضرها أدهم، تعرف على نور، وكانت أنثى رقيقة ناعمة، قمحاوية البشرة، سوداء الشعر، ذات عيون سوداء تميل إلى الزرقة الداكنة، متوسطة الطول والقوام. وكانت تتمتع بجاذبية تفوق مستوى جمالها.

نور منفصلة عن زوجها منذ عام تقريبًا، وقد دام زواجها منه عشر سنوات لم تتوفق فيهم معه، فقد كانت تراه ضعيف الشخصية، هادئ الطباع، وجبانًا نوعًا ما، وهذه كانت وجهة نظرها الشخصية. وكانت أيضًا تراه ضعيف البنية، وهي تريد رجلًا قويًّا، عريض المنكبين يمتلكها وتذوب داخل ضمة صدره ذوبانًا يرضي قوامها الملفوف.

وقعت نور في حب أدهم، فقد بدا لها وسيمًا وذا شخصية جذابة وقوي البنية، ويتميز بنبرة صوت رجولية تجعله مناسبًا أن يكون مذيعًا، وملامحه الحادة زادته جاذبية. ولكن نور لم تكن تعلم بفساد أخلاقه، وأنه يستغل وسامته لإيقاع النساء في حبه ليرضي غروره فقط.

نور شخصية بريئة وطيبة وحنونة، وحاولت تهرب من حبها له، ولكن، أمام عطفه وحنانه لم تستطع المقاومة. أصبحت نور يوميًا مع أدهم، تقضي معه كل الوقت، وكانت مبهورة بشخصيته القوية وأناقته وحديثه المنمق وهداياه الأنيقة، فقد كان معها في غاية وقمة الكرم والحنان، فإذا شعرت بإرهاق مثلًا، يشتري لها أغلى الفيتامينات، وكان يضع القرص في فمها بيده. وكان يهتم بتوفير كل ما ينقصها دون أن تطلب منه ذلك. وكان أدهم مغرمًا بالعطور الفاخرة، فكان يشتريها لها من أغلى الماركات العالمية. وفي يوم عيد ميلادها، أهداها خاتمًا مرصعًا بالألماس، وحجز لها في أفخم فندق، وأمر لها بأجمل كعكة عيد ميلاد مكتوب عليها اسمه واسمها، وقضت معه سهرة كانت كالحلم الجميل الذي لا تريد أن تستيقظ منه.

وهنا شعرت نور أن أدهم هو بطل قصتها وفارس أحلامها الذي سيطير بها إلى عالم تفتقده وتحلم به. ولكن حدث شيء غريب، فقد أحضر لها عطرًا مركبًا كهدية، معبأ في زجاجة سوداء فاخرة ذات غطاء ذهبي ساطع.

اندهشت نور لهذه الهدية، خاصة أنه كان يحضر لها العطور من أغلى الماركات العالمية. وبالطبع فهم أدهم نظرة الدهشة التي في عينيها، فأخبرها إنه يحب هذه الرائحة جدًا ولا يجدها إلا في العطور المُركبة، فابتسمت نور وشكرته.

طلب أدهم منها أن تتعطر من العطر حتى يشم رائحته عليها، ولكنها شكت في أن يكون هذا العطر يذكره بحبيبة سابقة، وعندما واجهته ضحك وقهقه وسألها:

_ "هل تغارين عليَّ يا نور؟"

وفي يومٍ ما، جلسا يتناولان الغداء كعادتهما في المطعم المفضل لأدهم، فطلبت نور منه أن يحكي لها عن حياته الماضية، فهي تريد أن تعرف أدق التفاصيل عنه، فهو أخبرها أنه تزوج ابنة عمه غصبًا عنه، وأن منى كانت مجرد نزوة، ولكن ماذا بعد؟ وماذا عن نيفين؟

أخذ أدهم يسترسل في الحديث حتى اعترف لها أنه اكتشف خيانة نيفين له عندما ذهب إلى المنزل ووجدها متوفاة على سريرها، فقد وجد هاتفها بين أحضانها، وعلم من خلال الشات أنها كانت لها علاقة مع رجل آخر.

وكم كانت صدمته شديدة، فقد كان يعشقها ولم يجعلها تشعر بأي نقص أبدًا. ثم أخبر نور أنه لم ينسَ ويتعافَ إلا بعد أن دخلت حياته، فأعطتها طعمًا خاصًا لم يشعر به من قبل، وأنه أحبها حبًّا لم يشعر به مع أي امرأة غيرها، فهي متميزة في عينيه عن كل النساء. قال لها ذلك وهو يضع يده على خدها الناعم، ويحرك أصابعه على شفتيها.

تعاطفت نور معه كثيرًا، وقررت أن تكون عوضًا له عن كل معاناته، ووعدته بذلك وهي تضع كفها على كتفه، فضمها إلى صدره ضمة قوية كادت أن تفقدها اتزانها، فلأول مرة تشعر بالأمان والارتياح لدرجة أنها لم تكن ترغب في رفع رأسها من على صدره الحنون. جاء الطعام، فطبطب أدهم على كتفها وقال لها:

_ "هيا لنتناول الغداء، فأنا جائع جدًا."

ولكن نور لاحظت عليه الاضطراب والتوتر والتعرق الشديد، فشعرت أن هناك ما يخفيه عنها، ولكنها تجاهلت إحساسها، فقد تكون مخطئة. وللأسف، بدت على نور فجأة أعراض حساسية شديدة وصعوبة في التنفس والتهاب حاد في الحلق، وكم كانت دهشتها لعدم اهتمام أدهم بها، فقد كان يهتم بأدق تفاصيلها، ولكن تلك المرة لم يفكر في طلب الطبيب أو حتى شراء العلاج المناسب! فتساءلت نور عن سبب هذا التغيير المفاجئ؟

ولم تهتم نور بالبحث عن إجابة لسؤالها، فقد اعتادت ألا تتعمق في التفاصيل الدقيقة، واعتبرت هذا الأمر سهوًا منه مثلًا.

كان أدهم يتركها عند النوم، وكعادته يذهب إليها وقت الظهيرة ويصطحبها إلى قضاء يومها معه حتى أصبحت ترافقه في ذهابه إلى الشركة، وبعد الانتهاء من مهامه يصطحبها إلى إحدى المطاعم المفضلة إليه.

وذات يوم، كانت نور في قمة تألقها وأناقتها، وكانت تشعر بسعادة شديدة وهي معه، ولكنها لا تعلم لماذا في هذا اليوم سألته أن يحكي لها تفاصيل أكثر عن نيفين، وكان من المنطقي أن تسأله عن أسماء، فهي التي على الساحة الآن وتشاركها حبيبها، ولكن ربما لأن أدهم اعترف لها بحبه لنيفين، ولم يكن يعطي أسماء أي اهتمام، فهي مهمشة بالنسبة له. فاندمج أدهم في الحديث، وأخذ يروي تفاصيل دقيقة جدًا إلى حد أخجلها وأثار غيرتها، ولكنها حاولت ألا تُظهر تلك الغيرة، فليس من المنطق أن تغيْر من امرأة رحلت، ولكنها كانت تحترق من داخلها، فقد روى لها أدق التفاصيل التي تكون بين رجل، وبين امرأة يعشقها.

تظاهرت نور بعدم الاهتمام، ولم تُعلّق على ما حكاه لها، وانشغلت في أكل قطعة من الحلوى، وكأنها أرادت أن تُظهر له أن الأمر كله لا يعنيها.

واصل أدهم الحديث، وكأنه كان يريد أن يتحدث بلا توقف، ولكنه كان فقط ينتظر الإشارة من نور، وانهمك في الحديث فلم يُدقق في خطورة ما يقول.

فأخبرها أن في ليلة وفاتها رأى من خلال كاميرات المراقبة في المنزل اضطرابًا شديدًا في تصرفاتها، فكانت تتحرك بهاتفها بين غرفة المعيشة وبين غرفة نومها بقلقٍ غريب، وأنها فجأة شعرت بدوار ودخلت، وضعت رأسها تحت الماء، ثم أخذت حمامًا دافئًا، وكادت أن تنزلق وهي تخرج من حوض الاستحمام، ثم ذهبت إلى سريرها، واتصلت بعشيقها وواصلت معه الحوار الساخن، حتى فجأة اختنقت أنفاسها وخرجت روحها في بضع ثوانٍ فقط.

وأخبرها أنه لم يهتم بمشاهدة الكاميرات إلا بعد اكتشافه لخيانتها له من خلال هاتفها. كان يحكي لها وهو متأثر جدًا، واشتد وجهه حمرة، وكأن ضغطه قد ارتفع فجأة.

ارتبكت نور وطلبت منه أن يتوقف عن الحديث ويتحدث في شيء آخر، وطلبت منه ألا يفتح هذه السيرة أمامها مرة أخرى، ولينسَ الذكريات المؤلمة وليبدأ معها بداية جميلة طيبة.

بدا عليها التوتر والعصبية الزائدة التي أدهشت أدهم كثيرًا، ولكنه تجاهل أن يسألها عن كل هذا التوتر الذي بدا عليها، وانفعالها الزائد عن الحد، فقد رأى في وجهها امرأة أخرى غير نور التي يعرفها، لدرجة أن ملامحها تبدلت من البراءة للوحشية.

حاول أدهم أن يتجاهل تغيرات وجهها المفاجئة، ثم واصل يومه معها في سعادة ومرح، والتقطا بعض الصور الجميلة، ثم أوصلها بسيارته إلى منزلها، وقبّل يدها بحرارة، وشبك أصابعه بأصابعها، وطلب منها أن تبدأ في البحث عن فيلا تليق برقتها، وتحدد موعدًا مع أهلها لإتمام مراسم الزفاف.

عاد أدهم إلى غرفته لينام وحده من جديد، وشعرت أسماء باقتراب خطر جديد، ولكن ماذا تفعل، فهي لا تريد الطلاق.

أخذت نور حمامًا دافئًا واتجهت إلى غرفتها لتنام، فقد كانت مرهقة جدًا. وضعت رأسها على وسادتها وأمسكت هاتفها، فوجدت رسالة من أدهم مكتوبًا فيها:

_ أنتِ أول حب دخل قلبي وحياتي يا نور، ومنذ تلك اللحظة أنا قدرك ونصيبك. اعتبري نفسك ملكي، وإن تركتِني أو خدعتِني، سأقتلك.

تعجبت نور كثيرًا من الرسالة، فكتبت تسأله:

_ هل رسالتك هذه رسالة حب أم رسالة تهديد؟

ولكن لم يرد عليها، فيبدو أنه نام.

بدأت نور تستعيد أحداث اليوم والأحاديث التي دارت بينهما، وفجأة توقفت عن التفكير عند نقطة معينة، وبدأت تحلل الحديث بعناية.

تساءلت كيف كانت نيفين تعلم بوجود كاميرات في جميع أنحاء المنزل، ومع ذلك كانت تتحدث مع عشيقها بجرأة غريبة، وتتواصل معه عبر الفيديو. كما تساءلت كيف كانت تعلم بوجود كاميرات يمكنها رؤيتها أثناء الاستحمام، ولماذا لم تعترض على ذلك؟ نهضت نور من على سريرها، وضعت يدها على قلبها وارتفعت أنفاسها، وقالت: "لا، لا يمكن أن تكون نيفين كانت على علم بذلك أبدًا. ضمن المؤكد أن أدهم وضع الكاميرات دون علمها بطريقة سرية."

بدأت نور تشك فيه وتفكر، فهو على الأرجح كان يراقبها، وكان يعلم بخيانتها منذ فترة طويلة قبل وفاتها، وليس بعد وفاتها كما ادعى. ولا يُستبعد أن يكون له يد في وفاتها، فقد يكون قتلها بطريقة ما، فأدهم بفضل ماله ونفوذه قادر على إخفاء أي معالم للجريمة.

بدأت ترتعش وتبكي بشدة، ثم اجتاحها نوبة من السعال وضيق التنفس، وكأن الموت يقترب منها. ذهبت إلى الثلاجة وأخذت كوبًا من الحليب البارد، وجلست على كرسي في شرفتها، وأخذت تفكر وهي ترتعش وتحاول أن تلتقط أنفاسها، ولم تشعر بنفسها، فقد نامت على الكرسي وكوب الحليب في يدها.

استيقظت نور على صوت أذان الفجر وزقزقة العصافير، وتساءلت: "ما هذا، وكيف نمت بهذه الطريقة الغريبة؟"

ثم قامت بهدوء وتوضأت، وصلت صلاة الفجر، ودخلت إلى غرفتها ونامت على سريرها، وأخذت وسادتها في حضنها، وكأنها تحتمي بها من مجهول.

استيقظت نور لاحقًا على اتصال من أدهم، فظلت تنظر إلى الهاتف ولا ترد عليه، كما لو كانت تحولت إلى تمثال حجري. ثم أعاد أدهم الاتصال عدة مرات، فلم ترد، فأرسل لها رسالة كتب فيها:

_ أنا في قمة القلق عليكِ يا حبيبتي، حتى أني فكرت في الصعود إليكِ ورنين جرس المنزل أو حتى أكسر الباب لأطمئن عليكِ.

انزعجت نور من رسالته، وتساءلت:

_ ما هذا الرجل المجنون، فكيف له أن يقول هذا حتى ولو من باب التفكير فقط؟

قامت نور بالاتصال به سريعًا، وقالت له:

_ صباح الخير يا أدهم. وقت اتصالك كنت أعد فنجان قهوتي وإفطاري، فلم أسمع جرس الهاتف، لأنه كان في وضع الصامت منذ الليل حتى أتمكن من النوم دون أي إزعاج، وعندما استيقظت نسيت أن أفتح الجرس فقط.

اطمأن أدهم، وقال لها:

_ لا بأس يا حبيبتي، هيا اجهزي، فأنا أنتظرك أمام المنزل من نصف ساعة.

طلبت منه نور أن يعفيها من المقابلة هذا اليوم، فهي مرهقة ومتعبة، ولكن أدهم أصرّ على أن ترتدي ملابسها وتنزل إليه، وإلا سيصعد ويقف على باب شقتها. ازدادت نور خوفًا من هذا الرجل، وتساءلت:

_ ما هذه الجرأة غير المفهومة؟

ثم ارتدت ملابسها سريعًا ونزلت إليه وركبت سيارته.

سألها إن كانت نسيت أن تضع عطره المفضل، فأخبرته أنها وضعت عطرًا خفيفًا لأن صدرها متعب. ولكن أدهم أصرّ على أن تصعد إلى منزلها، وتجلب زجاجة العطر المركّب الذي أحضره لها وتضع منه، لأنه يريد أن يستمتع برائحته على جسدها.

اندهشت نور، وتحت ضغط إصراره، صعدت إلى شقتها، وأحضرت زجاجة العطر السوداء الفاخرة، ونزلت وركبت إلى جانبه،

فأخذ منها الزجاجة، وبمداعبة مفتعلة رش العطر على وجهها، ففقدت السيطرة على نفسها، وأصابها سعال شديد وحرقان في عينيها وأنفها.

تأسف أدهم لها، وقبّل كفها، وأخبرها أنه لم يقصد إيذاءها أبدًا.

نظرت إليه نور بنظرة عتاب ممزوجة بخوف وغضب، وزادت دهشتها من أنه لم يفكر في شراء علاج للسعال لها، خصوصًا أنه يعلم أنها تهمل في صحتها لأنها لا تحب شرب الدواء، وتساءلت في عقلها: "لماذا لم يحضر لي الدواء ويسقيني إياه بيده كما اعتاد أن يفعل معي في دواء الصداع أو المقويات التي اشتراها لي؟"

ومن ناحية أخرى، تعجب أدهم في صمت وقال لنفسه: "هذه للمرة الثانية تتبدل تعبيرات وجهها إلى ملامح متوحشة، فما وراء هذا التحول يا ترى؟" ثم سألها:

_ هل تشعرين يا نور في منزلك بالقشعريرة أو بوجود شخص غريب معك، أو إذا كان هناك من عمل لكِ سحرًا مثلًا؟

_ نعم، إنه قريني يا أدهم، يحبني ودائمًا معي ولا يتركني أبدًا.

كانت نور بالطبع تمزح معه، ولكن بدا الخوف على وجه أدهم، مما زاد من ضحك نور بشكل هيستيري أقلقه.

وانتهى اليوم مثل كل يوم، وعادت إلى منزلها وهي مليئة بالتساؤلات عن تصرفات أدهم الغريبة المريبة.

ومن الجهة الأخرى، كان أدهم يشعر بأن هناك تغييرًا في حالة نور المزاجية، وكأنها تخفي عنه أمرًا ما.

اتصل أدهم بنور ليطمئن عليها، وطلب منها أن ترش عطره المفضل على وسادتها قبل نومها وتستنشق رائحته حتى تشعر أنه بجانبها ويعانقها طوال الليل، وأخبرها أنه سيفعل الشيء نفسه.

جلست نور تفكر في حكاية هذا العطر ولماذا كل هذا الاهتمام؟

ثم تذكرت أنه قبل أن يبخ العطر في وجهها، رجّ الزجاجة سريعًا، فازدادت حيرتها.

تناولت نور الزجاجة وحاولت فتحها فلم تستطع، فقد كانت مغلقة بإحكام، فأشعلت نارًا خفيفة على جوانب الغطاء وفتحتها.

ثم أحضرت زجاجة شفافة اللون وصبّت العطر بداخلها، وكانت المفاجأة أن العطر لونه معكّر، كما لو كان به ذرات من النشا أو الدقيق، فتركته قليلًا، فوجدت هذه الذرات البيضاء تترسب في قعر الزجاجة.

انزعجت نور ولم تنم في تلك الليلة، وفي الصباح الباكر، اتصلت بسعيد ابن خالها، فهي تثق به تمام الثقة، وطلبت منه الحضور فورًا.

وبالفعل، ذهب سعيد إليها في الحال وأخبرته بكل ما حدث.

وكان سعيد ذا خبرة واسعة، فطبيعة عمله كانت تفرض عليه ذلك.

وبعد أن فحص العطر، أخبرها بأنه يحتوي على مواد مخدّرة، فأدهم يخطط أن يجعلها مدمنة.

لم تصدق نور نفسها من الصدمة، ثم انهارت ودخلت في حالة هيستيرية من البكاء الحاد.

ثم أخذت تهذي وتتساءل: "لماذا يريد أدهم إيذائي؟ فماذا فعلت لهذا الرجل الوغد الحقير؟"

طمأنها سعيد وطلب منها أن تهدأ، ثم نزل واشترى لها دواءً من الصيدلية لعلاج التهاب أنفها الناتج عن هذا العطر، ثم طلب منها أن تجلس وتفكر معه بهدوء لإيجاد حل ينجيها من هذا الرجل عديم الضمير.

ولم تجد نور إجابة على سؤالها سوى أن أدهم شخص مريض ويريد أن ينتقم من كل النساء، فهو إذًا من قتل زوجته.

نهرها سعيد وطلب منها أن تصمت ولا تواجهه بما عرفته عنه، وإلا سيكون مصيرها الموت، فقد يرسل من يدهسها بسيارة أو يطلق عليها رصاصة طائشة.

ثم طلب منها أن تهدأ ليفكروا معًا بطريقة أكثر عقلانية، ويبحثوا عن حل للتخلص من هذا الرجل المريض.

وطلب منها أن تعصر عقلها وتخبره عن نقاط ضعف أدهم، ولكن نور كانت في حالة من التشويش الذهني، فلم تقوَ على التركيز، فأخذها معه لمنزل والدته، التي هي زوجة خالها الراحل.

وأخبرها سعيد عما يجب قوله لأدهم عندما يتصل بها، حتى يجدوا فرصة للتفكير في حل مناسب.

وبالفعل، اتصل أدهم وقت أذان الظهر، فدار بينهما حوار:

_ مرحبًا يا أدهم.

_ مرحبًا يا جميلتي، هل أنتِ مستعدة؟

_ أعتذر يا حياتي، أنا في منزل زوجة خالي، فهي متعبة واستنجدت بي في الصباح الباكر، ولا أحد في رعايتها.

_ كيف تخرجين من المنزل دون إذني يا نور؟

_ أعتذر، ولكن الظروف اضطرتني يا حبيبي، فزوجة خالي بمفردها، وسعيد ابن خالي على سفر، وسارة أخته ستأتي في صباح الغد لترعى والدتها وتهتم بها.

_ سيكون لي معكِ حساب عسير غدًا يا نور، عودي في صباح الغد وسآتي إليكِ في تمام الحادية عشرة، وإن لم أجدك في الميعاد لا أدري ماذا سأفعل بكِ.

_ أمرك يا أدهم، ممكن تهدأ ولا تقلق؟

_ سلام يا نور.

_ سلام يا أدهم.

ثم جلست نور مع سعيد تفكر معه بهدوء.

سألها سعيد:

_ ما هي نقطة ضعف أدهم؟

قالت له نور:

_ إنه نرجسي ومغرور ومتكبر وغامض و...

قاطَعها سعيد قائلًا:

_ ركزي معي يا نور، أنا لم أسألك عن صفاته، أنا سألتك عن نقاط ضعفه.

فاحتارت نور وعصرت رأسها، ثم أجابته بعد دقائق:

_ نعم، تذكرت يا سعيد، أنه دائمًا يخشى الحسد ويؤمن بشدة بوجود السحر وأذى الجن والعفاريت، وكان يشك أنني مخاوية قريني أو أنني مسحورة.

صفّق سعيد وقال لها:

_ ممتاز، وهنا سيكون الحل يا نور.

سألته كيف؟ فشرح لها سعيد الخطة جيدًا، وبالفعل بدأت نور في تنفيذها في صباح اليوم التالي.

فقد كانت وجهة نظر سعيد أن أدهم رجل أناني ومتكبر ومغرور، وهو الذي يجب أن يترك نور ويتخلى عنها تمامًا، بل ويهرب منها أيضًا، حتى لا يفكر في إيذائها.

فإن حدث العكس، وهي التي أنهت علاقتها معه، فسيعتبر ذلك إهانة كبيرة له وسيحاول الانتقام منها.

وفي اليوم التالي، جاء لها في الميعاد في تمام الحادية عشرة مثلما وعدها.

خرجت نور معه كعادتها، وعاملته بمنتهى اللطف والرقة، وأخبرته أنها تريد منه طلبًا قبل إتمام الزواج،

فتحمس أدهم وقال لها:

_ عيوني لكِ يا نور.

طلبت منه أن يذهب بها إلى أحد المشايخ لعلاجها، فقد كانت ترى منذ وقت طويل في منزلها شخصًا بين الحقيقة والخيال، يهددها بأنه إن تزوجت رجلًا غيره، فسيقتل زوجها، وأنه يريدها زوجة له وحده، فهو يقول إنها زوجته.

ثم أخبرته أن هذا الرجل يظل يضربها وهي نائمة، ويقوم بخنقها منذ أن بدأت تحبه، فهو يغير عليها بشدة.

انزعج أدهم، وبدأ الوسواس يسيطر عليه، فبدأ يربط بين كل حدث سيء حدث له في الفترة الأخيرة وبين كلام نور.

فتذكر الليلة التي كادت أن تحدث فيها حادثة بسيارته عندما فلتت منه الفرامل فجأة دون سبب، ومرة أخرى عندما كاد أن يعضه كلب أسود مسعور، ومرة أخرى أُغمي عليه وارتفع ضغطه فجأة، ومرة أخرى حلم بكابوس أن الشيطان يخنقه، ومرة أخرى توهّم أن روحه ستخرج.

سألته نور:

_ فيمَ تسرح ولماذا لا ترد عليَّ يا حبيبي؟

فسألها بعصبية:

_ لماذا لم تحكي لي هذا الأمر من قبل يا نور؟

فأجابته:

_ أنا لم أكن أعلم أنني سأحبك كل هذا الحب يا أدهم، والآن أنا خائفة على هذا الحب وأريد أن أحميه، وأريد حلًا لمشكلتي قبل إتمام زواجنا حتى أتخلص من هذا العفريت الذي يلاحقني، وأنا أريدك أن تقف بجانبي وتحميني.

وتعمدت نور في تلك اللحظات أن ترتبك وتزوغ عيناها وتضطرب ملامح وجهها، فازداد قلق وخوف أدهم منها، واحمرّ وجهه من الرعب وهو يتذكر انفعالها الدائم لأتفه الأمور، وعصبيتها الزائدة، ومزاجها المتقلب، وضحكها الهيستيري بدون أسباب، وعبث وشراسة ملامح وجهها عندما كانا يتناولان الغداء في المطعم، ومرة أخرى عندما رش العطر في وجهها.

ثم رن هاتفه وجاءه اتصال هاتفي،

فرد عليه وقال:

_ نعم، نعم، سآتي حالًا.

ثم طلب من نور أن تنزل وتستخدم وسيلة مواصلات وتعود إلى منزلها، فقد جاءه مشوار عمل هام، وسيتصل بها فيما بعد ليطمئن عليها.

نزلت نور وأخبرته أنها ستنتظره،

ولكن أدهم لم يتصل ولم يرد على اتصالها أيضًا.

اكتفى أدهم بإرسال رسالة يخبرها فيها بالآتي:

"معذرة يا نور، فأنا اضطررت للسفر إلى الخارج، فهناك مشكلة كبيرة في العمل في شركتي بإنجلترا، وقد تأخذ وقتًا طويلًا لحلها، وسأتواصل معكِ فيما بعد."

وهكذا اختفى أدهم بعد نجاح خطة سعيد المحكمة الذكية، فسعيد كان يعلم بفطنته أن أدهم رجل نرجسي، جبان، وضعيف، ولا يهمه إلا رغباته ومتعته فقط، وأنه حتمًا سيتخلى عن نور من شدة الخوف والرعب.

ارتاحت نور من هذا الكابوس وتعلمت درسًا قاسيًا، فلا يصح أن تعطي الأمان لأي شخص غريب لمجرد ظهور علامات الوقار عليه،

وأن لا تترك عواطفها عرضة لمن لا يستحقها، وأن قلبها قد يخدعها، ولذلك عليها أن تحكّم عقلها ولا تثق بأي شخص قد أخذ من مظهره أداة للنصب العاطفي أو المادي.

نور حمدت الله وشكرته على سلامتها ونجاتها من خطر كان مؤكدًا.

الفصل العاشر
انتقام القدر

اعتقد أدهم أنه تخلص من نور وأنقذ نفسه من الهلاك، واستمر في حياة العربدة والتنقل من امرأة إلى أخرى، وظل كما هو، شخصًا ظالمًا نرجسيًا مستهترًا، يعيش حياة مرفهة مريحة بفضل نفوذه وثروته. فقد كان يعتقد أنه فوق القانون، ولا يعنيه الحق، ولا يفكر بالعدالة، ولا يخاف من العواقب. أحيانًا كان يشعر بالندم، ولكن سرعان ما يجد لنفسه ألف مبرر، ثم يقول: "ما حدث قد حدث، ومستحيل العودة إلى الوراء."

أما أسماء، فلم تعد تطيق وضعها المخزي، وإذلال أدهم وإهماله لها. كان أدهم يحاول ألا يُظهر ذلك أمام أبنائه، ولكن بينه وبينها لم يكن يعطيها أي مشاعر تتمنى كل أنثى أن تشعر بها من زوجها. بدأت أسماء تشعر بالتخبط، وقررت أن تبحث عن الإثارة والمتعة خارج إطار الزواج، فتركت نفسها للشيطان.

تعرفت أسماء في النادي على رجل يُدعى كريم. كان كريم رجلًا وسيمًا، كثيف الشعر، خمري البشرة، عريض المنكبين، طويل القامة، وله سلطة ونفوذ، ولكن تم فصله من عمله لسوء سلوكه. كريم يعيش في فساد دائم، وكان هو الرأس الشيطاني المدبر لكل من يريد أن يفعل خطة دنيئة محكمة العناصر خارج نطاق الشرع والقانون.

ولكن أسماء لم تكن ترى فيه إلا معسول الكلام وإعجابه الشديد بأنوثتها وجمالها، فقد كان دائم المدح بها، ويخبرها دائمًا: "أنتِ المرأة الوحيدة التي حرّكت مشاعري الراكدة، فأنا لا أشعر بأي رغبة في زوجتي، فهي امرأة تقليدية لا تهتم إلا بالبيت والأولاد، ونسيت نفسها في زحام الحياة."

كانت أسماء تستمع له بكل اهتمام، وازدادت أمامه رقة ودلالًا، لتُثبت له أنوثتها وتجعله يتعلق بها. مرت الشهور وأسماء تتعلق بكريم أكثر وأكثر، وكانت ترى في أخطائها معه عدل الانتقام من أدهم.

وذات يوم، أخبرها كريم أن علاقتهما لا بد أن تنتهي، قائلًا لها:

_ أنا لم أعد قادرًا على احتمال بُعدك عني، فأنا أحبك، وأريدك زوجتي لا عشيقتي يا أسماء، فهل تفهمين؟

انهارت أسماء وقالت له:

_ وأنا أيضًا مستحيل أن أفارقك، ولكن الانفصال عن أدهم شبه مستحيل وليس بالسهل، فإن والدي وأخي لن يسمحا بهذا أبدًا. لا تتخلَّ عني يا كريم، فأنا معك لأول مرة أتذوق طعم الحب، ولا أشعر بأنوثتي إلا معك، ولم تشتعل مشاعري إلا بين يديك.

كريم رجلٌ ذكي، وكان يعلم تمامًا مواطن ضعف أسماء، فهي امرأة متعطشة للحب والاهتمام، فلعب ببراعة على أوتار أنوثتها ونجح في السيطرة عليها. كان كريم على علم أنها من عائلة ثرية، فكان يفكر كيف سيبتزها ويحقق الثراء الذي يحلم به من خلالها.

أجهشت أسماء بالبكاء بين يديه، وطلبت منه أن يصبر من أجلها، فطبطب على شعرها، ومسك يدها، وطمأنها قائلًا:

_ أنتِ عندي أهم من حياتي نفسها يا حبيبتي.

بدأت أسماء تنهال عليه بالهدايا الثمينة، وفاجأته بسيارة فاخرة دفعت له ثمنها من مالها الخاص، ووضعت مفتاحها في ميدالية بلاتينية تليق بحبيبها كريم.

وهنا أيقن كريم أن خطته تسير في الطريق الصحيح، فكلما شعرت أسماء بخطر بعده عنها، كلما انهالت عليه بالمال والهدايا، وكلما أغدق عليها بالحب ومعسول الكلام، ولعب على مشاعرها الأنثوية الملتهبة، كلما أصبحت كالعجينة في يديه، يُشكّلها كما يشاء.

وتشابهت الأدوار، وأصبحت أسماء مثل أدهم تمامًا، فهو يُنفق أمواله على النساء، وهي تُغرق عشيقها بالهدايا الثمينة والمال.

استمرت الأيام والشهور، وطلب كريم من أسماء أن تضع حدًا لهذا الوضع، فيجب التخلص من أدهم إلى الأبد. توترت أسماء وسألته:

_ هل تقصد قتله؟

فقال لها:

_ بالطبع لا.

فاطمأنت أسماء، وبدأت تسمع لخطته الشيطانية. أخبرها أنها ستضع المخدرات في سيارة أدهم، وهو بعلاقاته سينفذ باقي الخطة. ولكنه سيحتاج إلى مبلغ كبير جدًا من المال، فهناك أشخاص سيقدمون له المساعدة، وطبعًا ليس بالمجان.

ترددت أسماء، ولكن حب كريم سيطر عليها لدرجة الجنون، وفكرت في قسوة أدهم معها، وفي إهماله لها واحتقاره لأنوثتها، وأوجد الشيطان لها عشرات المبررات ليسهّل لها الخطيئة.

وبالفعل، أعطت كريم مبلغًا ضخمًا، لم يستخدم أكثر من عُشره فقط لإتمام الخطة.

وبالفعل، نفذت أسماء ما طلبه منها بالضبط، فخرجت إلى سيارة أدهم وهو نائم، وقبلها كانت قد خبأت نسخة المفتاح الاحتياطية معها، وبالفعل وضعت بداخلها اللفة التي أعطاها لها كريم تحت الكرسي الأمامي، ثم أبلغته بأنها نفذت المطلوب.

استيقظ أدهم وخرج كعادته دون أن ينظر في وجهها، وكان كريم قد رتب كل شيء بحنكته البوليسية. وبالفعل، تم القبض على أدهم، وهنا شعرت أسماء بالانتصار، فقد تخلصت أخيرًا من أدهم الذي أهانها وأذلها أمام عائلتها وأصدقائها ومعارفها، ولم تفكر في وصمة العار التي سيحملها الأبناء.

انقلبت حياة العائلة رأسًا على عقب بعد هذه الحادثة، التي كانت بمثابة مصيبة وكارثة كبيرة، ولم يبقَ أحد في البلد إلا وتحدث عن نائبة أدهم، وانتشرت الفضيحة بسرعة البرق، وشاعت اتهامات بأن العائلة متورطة في تجارة المخدرات. وانهارت سمعتهم في السوق، وقطع العملاء تعاملهم معهم، وحدثت خسارة كبيرة في العمل.

ووكَّل إخوة أدهم في قضيته أكبر وأهم محامٍ في البلد، والذي وعدهم بالبراءة والتشكيك في صحة الإجراءات. بدأ كريم في هذه الفترة يستغل أسماء، فأقنعها أن بعض من ساعدوه يريدون مبلغًا كبيرًا من المال، وإلا سيرسلون لأدهم ولعائلته تفاصيل تورطه في هذه القضية.

فارتبكت أسماء، وخافت من الفضيحة، فعائلتها لن يرحموها ولن يسامحوها على فعلتها، فقد سجنت ابن عمها وأبا أبنائها.

فأخذت تعطي كريم كل ما يطلبه، حتى إنها اضطرت إلى بيع مجوهراتها، وظلت تلوم نفسها، فهي من وضعت نفسها في هذا المأزق.

وفي ليلة مقمرة، طلب كريم منها أن يقضي ليلته في منزلها، فقال لها:

"أتمنى أن أشعر أنكِ ملكي ولو لليلة واحدة، وأنظر إلى وجهك الجميل في الصباح."

وأصر على ذلك وألحّ عليها، حتى وافقت وأدخلته إلى غرفتها خلسة. وبينما كان كريم يستمتع باللحظة، كانت أسماء مستيقظة ترتعش من الخوف. وبينما هي غارقة في مشاعرها، كان كريم يصوّرها، ويحفظ تسجيلات لمحادثتهما، ليضمن وسيلة للضغط عليها في المستقبل. ثم خرج في الصباح دون أن يراه أحد.

وفي الجهة الأخرى، دفع أهل أدهم مبالغ طائلة للمحامي، الذي تمكن من إخراجه من السجن بالبراءة، وكانت العملية سلسة للغاية. وهنا كانت صدمة أسماء قوية، فتفاقمت المشاكل بينها وبين كريم، فعاتبته وزجرته، وانهالت عليه بالاتهامات، قائلة:

_ لقد خدعتني، فقد وعدتني بسجن أدهم مدى الحياة، واستغليتني ماليًا، فقد خسرت أموالي ومجوهراتي من أجل لا شيء.

فردّ عليها كريم بعنف، قائلًا:

_ أنا غير مسؤول عن خسارة أموالك، وأنا شخصيًا لم أستفد منها، وإذا كررتِ التحدث إليَّ بهذه الطريقة مرة أخرى، فسأتخلى عنكِ نهائيًا، وسأتركك تواجهي مصيرك وحدك إن لم تتوقفي عن محاسبتي.

وطبعًا كان كريم يعلم أن القضية ليست بالقوة والحبكة التي صوّرها لها، ولكنه فعل ذلك لابتزاز الأموال منها فقط. وهنا تأكدت أسماء أنها كانت ضحية لعبة حقيرة من كريم، وتأكدت أنه رجل فاسد مثل أدهم تمامًا.

خرج أدهم من السجن، وقد أصبح أسوأ مما كان عليه، مصممًا على معرفة من فعل به ذلك، ومقسمًا على الانتقام منه أشد انتقام. وعادت أسماء لتعيش أيامًا أسوأ وأظلم من كل سنواتها السابقة، فقد تحول أدهم إلى وحش كاسر بلا قلب، وأمرها بعدم الخروج من المنزل إلا بصحبته، فهو يشك فيها وفي كل من حوله. ونصحته عائلته بالذهاب إلى منتجع ساحلي ليهدأ قليلًا، فرفض في البداية، ثم تراجع ووافق.

أغلقت أسماء هاتفها ولم تفتحه إلا بعد عودتها من السفر، ولم تفكر في التواصل مع كريم طوال الأسبوع الذي قضته مع أدهم. وعندما فتحت هاتفها، فوجئت بمكالمة من رقم غريب، واتضح أن المتصل هو كريم، فسألته عن الرقم، فادعى أن هاتفه سُرق، وأنه سيذهب إلى شركة الاتصالات لاستخراج شريحة جديدة. وكانت هذه الكذبة امتدادًا لخطته الشيطانية. وبعد عدة أيام، طلب كريم مقابلتها، فأخبرته أنها لن تخرج لأن أدهم منعها من ذلك، ثم انفجرت باكية، وقالت له:

_ أنت السبب في كل ما وصلت إليه، فقد خسرت الكثير من أموالي ومجوهراتي في محاولة تحقيق هدفي، والآن فقدت المال والحرية معًا.

رد عليها كريم بلامبالاة:

_ توقفي عن هذا الهراء، أدهم خرج من مأزقه بماله وقوته وبفضل المحامي الماهر الذي استعان به!

ثم أخبرها أن الشخص الذي سرق هاتفه يهدده بالتسجيلات التي عليه، بما في ذلك اتفاقه مع شركائه على تلفيق القضية لأدهم، بالإضافة إلى تسجيلات له ولها، والفيديو الذي صورها أثناء قضاء ليلته في غرفتها. انهارت أسماء وسألته لماذا صورها وسجل لها، فأجابها ببرود:

_ إنه يحبها، ويحب أن يسمعها ويرآها كلما اشتاق لها.

انهالت أسماء عليه بالشتائم، واتهمته بالكذب، وأخبرته أنها تعلم أن هاتفه لم يسرقه أحد، وأنه هو من يساومها. ولأول مرة، رأت أسماء الوجه الحقيقي لكريم، إذ قال لها:

_ يا خائنة، يا ساقطة، أنتِ تبحثين فقط عن ملذاتك، وما قدمته لكِ لن تجديه مع رجل آخر، وهل كنتِ تحلمين أن كريم بك يتحدث معك؟ فأنتِ امرأة كاذبة، فقد سافرتِ مع أدهم، وأغلقتِ هاتفك، ولم تهتمي بمشاعري، لقد فقدت الثقة فيكِ يا غادرة.

ثم هددها بأنه إن لم تأتِ له بالمال الذي طلبه، فسيُرسل لأدهم صورها في غرفة نومها، ليرى خيانتها له بعينيه. انهارت أسماء تمامًا، وهي تلطم على وجهها، بعد أن أدركت أنها عاجزة عن إيقاف كريم، وعرضت عليه ما تبقى لديها من مجوهرات ومال، لكنه لم يكتفِ بذلك، وطلب المزيد. توسلت إليه، وأكدت له أنها لا تملك المزيد،

لكنه رفض الاستماع إليها، وهددها بنشر الفضيحة وتدمير سمعتها، مؤكدًا لها أنها ستدفع ثمن إهانتها وشتائمها له.

أصبحت أسماء كالفرس الجريح، لا تدري ماذا ستفعل، وأخذ كريم في إرسال صورها ومكالماتها له على هاتفها، حتى ترى فضيحتها بعينيها وتسمع بأذنيها. فأخذت تبكي وتقول:

"هذا ذنب عادل المسكين، فقد جرحته، ودمرت رجولته وكبرياءه، ونحرت قلبه، بل أخذت منه السلسلة، ثم وضعتها في عنقي مع اسم أدهم ليلة الخطبة، فخسرت أمام فعلتي الحقيرة مجوهراتي ومالي وسمعتي."

وهنا، دخل أدهم عليها، وأمسك هاتفها، ليشاهد بنفسه الصور والدلائل التي تؤكد خيانتها. فقد فعل أدهم معها مثلما فعل مع نيفين تمامًا. اتفق أدهم مع صديقه مدحت قبل سفره على زرع الكاميرات في غرفة أسماء، بعد أن شك في تصرفاتها، فكل العلامات كانت تشير إلى خيانتها، من تغيير مظهرها وصبغ شعرها باللون الأحمر الناري، إلى اكتشافه لفواتير شراء تؤكد شرائها العديد من الملابس الخاصة، بعد فترة وجيزة من دخوله السجن، وتجاهلها له أثناء فترة سجنه، فلم تذهب لزيارته ولو لمرة واحدة.

ولكن الصدمة الحقيقية كانت عندما اكتشف أن الموضوع تجاوز حدود الخيانة الزوجية، وأنها كانت وراء سجنه وتلفيق التهمة له. لم يشعر أدهم بنفسه إلا وهو يطعنها بالسكين التي كانت على طبق الفاكهة في غرفتها.

صرخ الخدم، واستدعوا الشرطة والإسعاف، وقضت أسماء شهرين في المستشفى بين الحياة والموت، لكنها بفضل الله تمكنت من النجاة، لتظل بعد ذلك تحمل وصمة عار لا يمكن محوها.

مازال أدهم في السجن، بينما تم القبض على كريم، وكشفت النيابة العامة عن كل الاتفاقات المشبوهة على هاتفه، كما تم القبض على كل من تورطوا معه في هذه القضية. استمعت النيابة إلى التسجيلات الصوتية والفيديوهات التي أرسلها كريم إلى أسماء لتهديدها، وتم تفريغ محتوى الكاميرات في غرفة أسماء التي وثّقت الواقعة بأكملها.

بعد تماثل أسماء للشفاء، تم القبض عليها لتحاسب على أفعالها المشينة. وفي الوقت نفسه، أخذ والدها ووالدتها أبناءها للإقامة معهم.

نمت زهرة، ابنة لطيفة، لتصبح فتاة جميلة وجذابة تشبه والدتها، وبدأ الرجال يهتمون بها كما كانوا يهتمون بلطيفة في السابق، وكأن التاريخ يعيد نفسه.

كانت لطيفة تتابع أخبار أدهم، وتعتقد أن كل ما حدث له هو نتيجة لظلمه لها. وفي الواقع، كانت كل امرأة تعرضت للظلم من قبل أدهم تعتقد الشيء نفسه.

وأخيرًا، تُرك الأمر للقضاء العادل ليأخذ مجراه، ولكن للأسف، مازالت جريمة قتل نيفين غير معروفة من قبل رجال الأمن، حيث تلاشت الأدلة ولم يتم الكشف عنها.

الفصل الحادي عشر
مملكة الياقوت الدامي والذكريات

في ليلة مقمرة بدا القمر فيها مكتملًا ودموي اللون، جلست زهرة أو (الملكة روزانا) على حافة صخرة الياقوت الدامي. هذه الصخرة تقع في مملكة الياقوت الدامي التي يحكمها الملك كايوس. إنها صخرة عملاقة تكسو جزيرة غارقة تحت أعماق البحار المظلمة التي لا يستطيع أحد أن يرى معالمها أو تفاصيلها بوضوح إلا بعد أن يهب دمه للملك كايوس ويُظهر له الولاء والطاعة، إما بإرادته أو تحت الإجبار.

الملك كايوس هو ملك هذه المملكة الغامضة العجيبة، المليئة بالأسرار. كان على الشخص حتى ينال شرف الحياة في المملكة، أن يقف أولًا منحنيًا أمام صخرة الياقوت الدامي، ثم يأمر الملك كايوس حارسه الخاص كيان بأن يلتقط دبوس المُلك المرمري من كرسي العرش الخاص به، ثم يغرزه في الكف الأيسر للشخص إلى أن تسقط قطرتان من دمه على الصخرة، فتتحولان خلال ثوانٍ معدودة إلى فصين من الحجر المرمري الأحمر الوردي، ويلتصقان بعينيه فورًا بمجرد أن ينظر إليهما دون أن ترمش عيناه.

وهنا يصبح في الحال من أفراد شعب مملكة الملك كايوس، فيصبح من رعيته وتحت طوعه. ويضمن الملك كايوس له من تلك اللحظة حمايته مدى الحياة، والسماح له برؤية كل تفاصيل المملكة العجيبة، ولا رجعة له إلى عالمه السابق مرة أخرى.

هذه كانت هي الطقوس المتبعة في المملكة. وبمجرد أن يصبح أي شخص من رعايا المملكة، فعليه أن يتعهد ألّا يتردد في قتل نفسه

إذا أمره الملك كايوس بتقديم روحه فداءً له، سواء في حرب يخوضها ضد أعداء المملكة، أو كقربان لإرضاء كهنة المعبد، الذي كان الملك كايوس يقدرهم كثيرًا، ويحترم طقوسهم ويعتبرها بابًا للخصب والنماء ومفتاحًا لحماية المملكة من هجوم الأعداء.

ولكن ليس في كل مرة يتحول الدم إلى فصين من المرمر الأحمر الوردي، فكان هذا اللون لعامة الشعب. في مرات أخرى يتحول إلى فصين من الحجر المرمري الأزرق القاتم، وكان هذا لأعين الخدم والعبيد. ويتحول أحيانًا إلى اللون البرتقالي، وهذا كان لأعين الحرس ورجال الأمن. ويتحول إلى اللون الناري، وهذا لأعين القادة وفرسان الجيش.

أما الأعين المرمرية الفضية البراقة، فكانت لكهنة وفرسان المعبد، فقد كان لهم مكانة خاصة جدًا عند الملك كايوس. ويتحول إلى فصين من المرمر الذهبي لمن تُعجبه من النساء، فيضمها إلى جناح النساء الخاص به.

أما تحوّل قطرتي الدم إلى فصين من الياقوت الأخضر القاتم، فإنه لا يكون إلا لامرأة واحدة فقط، وهي حبيبته وزوجته، التي يتوجها ملكة عليهم جميعًا رجالًا ونساءً، ويكونوا دائمًا في طاعتها.

وكل هذا كان لا يحدده إلا الملك كايوس صاحب الأعين الألماسية التي لا تكون إلا له فقط. وكانت الأعين اللؤلؤية لأفراد عائلته وعشيرته.

وهناك أفراد تم اختطافهم أو أُسرهم في الحروب، فكان يأمر الملك كايوس بسجنهم في غرف مظلمة، حتى يأخذ قرارًا في شأنهم بإدخالهم مملكته أم لا. فهناك من سيأمر بقتلهم، وهناك من سيُطلق سراحهم ويردهم إلى عالمهم الأسبق، ولكنهم سيعودون فاقدين العقل تمامًا ولا يتذكرون حتى أسماءهم. وهناك من سيضمهم إلى مملكته ليصبحوا من رعيته، وفي حمايته وخدمته بعد تأدية الطقوس المتبعة.

جلست زهرة على حافة هذه الصخرة الغامضة، التي بمجرد أن لمست قطرتان من دمها سطحها، تغيرت حياتها بشكل جذري لتصبح الملكة روزانا.

جلست وهي تتأمل القمر الدموي، وتتذكر كل الأحداث التي مرت عليها. زهرة هو اسمها على سطح الأرض، والملك كايوس وهبها اسم روزانا، ومعناه: الوردة الجميلة.

روزانا هي التي فازت عيناها بفصين الياقوت الأخضر القاتم، فأصبحت في الحال الملكة المتوجة على عرش المملكة.

كانت روزانا، أو زهرة سابقًا، تعيش حياة شبه مستقرة على سطح الأرض مع زوجها نادر، الذي تزوجته زواجًا محسوبًا بالعقل والمنطق وبالورقة والقلم.

زهرة هي ابنة لطيفة، والتي عاشت مأساة أمها وتجاربها الفاشلة التي أثرت على تفكيرها في طريقة اختيار الزوج المناسب لها.

زهرة فتاة رائعة الجمال، قمحاوية البشرة، متوسطة الطول، ممشوقة القوام، مستديرة الوجه، شعرها طويل ولونه كالليل الأسود، وذات عينين بنيتين غامقتين تكسوهما نظرة حزن غامضة.

نادر رجل متوسط البنية، طويل القامة، له شعر مجعد أصفر اللون يميل للحمرة، وبشرته بيضاء مائلة أيضًا إلى الحمرة، له عين عسلية تميل إلى الأخضر الخفيف وضيقة مثل الثعلب تمامًا.

نادر رجل عصامي من أسرة بسيطة الحال، ولكنه سافر إلى الخارج واستطاع توفير مبلغ كبير من المال.

اشترى نادر قطعة أرض وبنى عليها منزلًا كبيرًا من سبعة طوابق في أرقى مكان في بلدته، وفي كل طابق أربع وحدات، أما الطابق الأرضي فقسّمه إلى محلات لها قيمة تجارية عالية، واشترى سيارة حديثة تليق به، ثم وضع مبلغًا كبيرًا من المال في أحد البنوك الاستثمارية.

كل هذه مميزات جعلت زهرة تفكر في الأمر بعقلها، وتركت قلبها عند محمود ابن جارهم العم جمال، فلا يلزمها الزواج من رجل تحبه وتعيش معه تحسب قوت يومها، أو يعتمد عليها في تدبير المعيشة.

فليذهبا الحب والقلب إلى الجحيم، وكفى ما عانته أمها مع أشباه الرجال، فقد خسرت بسببهم حياتها وشبابها وسعادتها، فقررت أن لا تكون نسخة مكررة منها.

أخبر نادر زهرة بأنه يريدها بفستان الفرح فقط، وأنه سيتولى كل مستلزمات الزواج.

وافقت زهرة على طلبه، على الرغم من معارضة والدها، حيث لم يكن يرتاح له ولا لأسرته، وكان يصفهم بأنهم "بلا أصل"، ولكن أصرت زهرة على إتمام الزواج خلال عطلة نادر السنوية، فقد وعدها بتوفير كل مستلزمات المنزل، والشبكة الثمينة، والمهر، وكل ما يلزم للفرح.

أما والدتها لطيفة، فكانت مستسلمة لرأي ابنتها، وكانت تقول: "زهرة فتاة ذات شخصية قوية وعنيدة، ولن تتردد في تنفيذ ما تريده."

ولكن استمرَّ حلم لطيفة القديم يتكرر معها، وظل حديث جدتها الملكة صفية عالقًا في ذاكرتها. فلم تنسَ حديثها المخيف عن نسب الملك سمعان الذي لن يفارق العائلة. كانت تشعر لطيفة دائمًا أن ابنتها زهرة في خطر، وأنها هي من ستدفع الثمن، فكانت دائمًا تحذرها من الخضوع لأي شخص يظهر لها في أحلامها أو يتجسد لها في الواقع، وأخبرتها كيف حصّنت نفسها طوال عمرها بالصلاة، فلم تخضع أبدًا لأي محاولات شعرت بها من أحدهم، ولم تهتم طيلة حياتها بقراءة فنجان، أو كف، أو غيره من علم النجوم. وأوصتها أن تجتنب هذا العالم الخفي. وكانت لطيفة أيضًا تتذكر كلام والدها لها، أن كل هذه تخاريف من جدتها لا وجود لها، وأن العاقل لا يصدق هذا الهراء، فكانت ترتاح وتهدأ وتطمئن.

تم زفاف زهرة على نادر، ثم سافر بعد نهاية عطلته السنوية ليواصل عمله ويكمل الإجراءات الورقية اللازمة لجلب زهرة للعيش معه. وبالفعل، بعد عدة أشهر أنهى الإجراءات وأرسل لها تذكرة الطيران، وسافرت له. انبهرت زهرة بجمال البلد وبالمنزل الفخم الذي أجره نادر وفرشه بأجمل وأغلى الأثاث. وعاشت معه في سعادة تامة، بالرغم أن قلبها ظل مع محمود، ولكنها كانت في منتهى الرقة واللطف مع نادر، فلم يشعر ولو للحظة واحدة أن قلبها ليس معه، فقد كانت زهرة امرأة ذكية تعلم تمامًا في أي طريق تسير، وتعلم أن الحب وحده لا يكفي لتحقيق السعادة، وكانت دائمًا تقول: "كلهم رجال يتشابهون، ولكن الحكمة في انتقاء الرجل الذي يمنحني السعادة." أخلصت زهرة لنادر ومنحته السعادة، وكانت تقول لنفسها: "طالما هو يسعدني ويلبي كل احتياجاتي، فلماذا لا أسعده أنا أيضًا؟"

ولكن، كانت زهرة تتعجب من كثرة النقود معه، فعمله كموظف في شركة لا يدر عليه كل هذه الأموال، وعندما كانت تسأله عن راتبه، كان يجيبها بأنه يعتمد على النسبة ويختلف من شهر لآخر، وأن راتبه الأساسي لا يعنيها طالما لا ينقصها شيء. وهنا قررت زهرة أن تؤمن مستقبلها، فبدأت تدخر المال وترسله إلى حسابها الشخصي في أحد البنوك الذي فتحته دون علم نادر.

بعد مضي بعض الوقت، طلبت زهرة من نادر السماح لها بالعمل وإيجاد فرصة مناسبة لها، لكنه رفض بقوة. وتساءل باستهجان: "ما الذي ينقصك يا زهرة؟ أنا لن أسمح لكِ بالعمل أبدًا، لأن الاختلاط بالغرباء ليس من المقبول، ولا تعيدي الطلب عليَّ مرة أخرى."

ومع مرور الأيام، شعرت زهرة بالملل بسبب انشغال نادر الدائم، حتى في أيام العطلات التي كان يعدها بالخروج، لكنه غالبًا ما يلغي نزهاتها بسبب ارتباطات العمل. ومع مرور الوقت، تعرفت زهرة على ليلى التي تسكن في البيت المجاور لها، وتم التعارف بفضل الصداقة التي تجمع بين منارة خادمتها وماريا خادمة ليلى.

شعرت زهرة بسعادة كبيرة بمعرفة ليلى، خاصة وأن نادر كان يمنعها من الاختلاط بزوجات أصدقائه، مما جعل حياتها منعزلة تمامًا، ولم تجد تفسيرًا منطقيًا لرفض نادر لتعرفها على الآخرين. ولأول مرة، تشعر زهرة بالارتياح والسعادة، فقد أصبح لديها أخيرًا صديقة، والجميل أكثر أنها تسكن بجانبها، فلا تحتاج إلى وسيلة انتقال. كانت تقضي معظم وقت فراغها معها، وأحبتها كثيرًا. ليلى كانت امرأة تلقائية وبسيطة ومحبوبة، تتمتع بخفة الظل، ومن يجلس معها يشعر وكأنه يعرفها منذ سنوات. ومن يدخل بيتها يشعر بالارتياح وكأنه في منزله، فقد كانت حسنة الاستقبال وكريمة الضيافة.

ولكن ليلى كان لديها عيب خطير، وهو الهوس والاهتمام الشديد بقراءة أوراق التاروت، والفنجان، والكف، وعلم النجوم، والكواكب، والأبراج. وعلى الرغم من أنها تعلم بتحريم هذه القراءات، كانت تضعف أمام هذا العالم الخفي. ومع الوقت، أثرت على زهرة وجعلتها للأسف تهتم بهذا العالم مثلها وأكثر.

الفصل الثاني عشر
أوراق التاروت

ذات صباح جلست زهرة وليلى يتناولان الفطور في منزل ليلى، وبعد الانتهاء من الطعام نادت ليلى على خادمتها ماريا لتعد لهما القهوة، فلم تجبها.

ذهبت تراها في مكان إعداد الطعام فلم تجدها، فذهبت إلى غرفتها فوجدتها تجلس وتقرأ لمنارة أوراق التاروت، فاندهشت ليلى وسألتها عن هذا، فأجابتها ماريا وهي تبتسم أنها مجرد لعبة لمعرفة الحظ فقط، ثم لملمت الورق بسرعة.

كانت ليلى لأول مرة تعلم أن ماريا تهتم بتلك الأوراق، بل وتتقن قراءتها أيضًا.

طلبت ليلى من ماريا أن تحضر القهوة بسرعة وتأتي بها إلى غرفة الجلوس.

أخبرت ليلى زهرة بدهشة عما رأته، فاندهشت زهرة مثلها تمامًا وطلبت منها أن تجعل ماريا تقرأ لها الحظ لترى كيف تقرأ هذا الورق.

أحضرت ماريا القهوة، فطلبت منها زهرة أن تحضر أوراق التاروت وتقرأ لها.

فابتسمت ماريا ابتسامة خبيثة وأخبرتها أن هذا مجرد كلام ولعب، ولكن زهرة شعرت بخبثها، فسألتها:

_ كيف تعلمتِ ذلك؟ ومن الذي علّمكِ؟

ردت ماريا وقالت:

_ أنا لم أتعلم من أحد، ولكنها شفافية في قلبي جعلت قريني يتودد إليَّ، فيظهر لي ويتحدث معي بالساعات ويخبرني عن أشياء كثيرة لا أعلمها.

ضحكت ليلى وزهرة وكأن ماريا ألقت عليهما نكتة ظريفة، فظهر على وجه ماريا علامات الغضب، وكأن وجهها تحول إلى شعلة من النار، وعبست ملامحها الهادئة، وتغيرت بشرتها البيضاء، وبدت وكأنها ملامح لرجل قبيح داكن اللون، وجحظت عيناها، وتحول لونها العسلي الفاتح إلى الرمادي الغامق. ارتبكت زهرة وارتعشت، وخافت ليلى وتخشبت، وتسمرت عيناها وكأنها التصقت بمكانها أو تجمدت، وأخذت قرارًا في داخلها أنها ستستغني عن ماريا في أقرب وقت ممكن، فقد بدا لها أن ماريا يسكنها روح شريرة وليس قرينًا.

حاولت زهرة امتصاص غضب ماريا وتلطيف الجو معها، فأخبرتها أنهما لم يقصدا إلا الدعابة معها فقط. فهدأت ماريا وبدأت تسترد ملامحها الطبيعية، ثم استأذنت بأنها تريد أن ترتاح قليلًا.

ولكن زهرة استوقفتها وسألتها أن تقرأ لها الورق، فاعتذرت ماريا وقالت لها:

_ ليس الآن يا سيدتي، فقد غضب القرين وانصرف سريعًا قبل أن يؤذيهما. وإن كان حضر الجلسة لوقت أكثر من ذلك فحتمًا كان سيضرهما.

زاد القلق في قلب ليلى، ولم تدرِ ماذا تفعل؟ وهل تخبر زوجها سامح بما حدث أم لا؟

طلبت زهرة منها ألا تخبره حتى يظهر السر الذي تخفيه هذه الخبيثة، ثم أقنعتها أن تأتي بها في الغد إلى منزلها، وهي سترى ماذا يدور في رأسها، وما حكاية هذا القرين الذي تزعم وجوده.

انتفضت ليلى وقالت لها:

_ هي لا تزعم، ولا تكذب، بل ملامحها بالفعل تغيرت وظهرت كوجه رجل قبيح.

فطلبت منها زهرة أن تهدأ، وفي الغد سيظهر كل شيء، ثم ذهبت إلى منزلها، فنادر كان على وشك الوصول.

لاحظ نادر في تلك الليلة حيرة زهرة واضطرابها، فقد كانت فاقدة التركيز وتنتفض من أي صوت تسمعه، وتتلفت حولها وكأنها ترى عفريتًا.

سألها:

_ هل حدث معك في غيابي شيء أزعجك؟

فأجابته:

_ أنا بخير ولم يحدث معي أي شيء، ولكني أريدك بجانبي.

لم يصدقها نادر، وقال لها:

_ سأجلس في غرفة مكتبي لإكمال بعض الأعمال.

فقالت له:

_ ألم أطلب منك أن تبقى بجانبي؟

أدرك نادر أنها تخفي عليه أمرًا، وعاد يسألها عما تخفيه.

انفعلت عليه وقالت له:

_ أنا فقط مرهقة ومتعبة ولا أريد البقاء بمفردي.

تركها نادر وذهب إلى مكتبه غاضبًا من طريقة ردها.

انزعجت زهرة من رد فعله، وأضاءت كل الأنوار وفتحت التلفاز، لكن الرعب ما زال يسيطر عليها.

خرجت من غرفتها وذهبت إلى غرفة خادمتها منارة لتسألها عما قالته ماريا، فوجدتها نائمة.

مشت بخطوات هادئة ووضعت أذنها على باب غرفة المكتب، فسمعت نادر يتحدث في هاتفه بهمس خافت.

حاولت أن تسمع مع من يتحدث، فلم تسمع إلا همهمات غير مفسرة، فأخذ الشك يتسلل إلى عقلها، فتساءلت: "مع من يتحدث في هذا الوقت المتأخر من الليل؟"

وقررت أن تفتح الباب وتدخل بهدوء، فانتبه لها نادر وارتبك، ولكنه دارى ارتباكه بغضب مصطنع، وقال لها:

_ نعم يا زهرة؟

فسألته:

_ مع من تتحدث في منتصف الليل يا نادر؟

فوضع الهاتف على أذنه، وقال للطرف الآخر إنه سيكمل الحديث معه في الغد، وأغلق الهاتف، وقال لها:

_ أنا أريد أن أنام، وأحذرك من التجسس عليَّ مرة أخرى، أو الدخول إلى غرفة مكتبي دون استئذان.

لم تجادل زهرة فيما قاله، فقد كانت مرتبكة بسبب ما حدث في منزل ليلى، لكنها وضعت ما قاله نادر لها في رأسها.

في الصباح، لم تستيقظ زهرة لتحضير الفطور له ولا قهوته، وغطت وجهها ومثلت أنها نائمة، فهي لا تريد رؤية عبوس وجهه، وحينما تأكدت من خروجه قامت من سريرها على الفور، واتصلت بليلى، فردت عليها وهي شبه نائمة، وطلبت منها أن تتركها تكمل نومها.

ولكن زهرة شعرت بالضيق، وطلبت منها أن تأتي إليها في الحال وتحضر معها ماريا.

اندهشت ليلى من شدة اهتمامها بالأمر، وأخبرتها أنها ستأتي إليها بعد أن تأخذ كفايتها من النوم. تأففت زهرة، ثم ذهبت إلى غرفة منارة، وأيقظتها من نومها، وطلبت منها أن تأتي إليها في غرفة المعيشة لتتحدث معها قليلًا.

وهنا دخل نادر إلى المنزل، فقد نسي بعض الأوراق فعاد ليأخذها، فوجد زهرة أمامه، فنظر لها بتعجب واستنكار، وشك في أنها كانت تتصنع النوم.

تجاهلته زهرة وأخفت توترها، وجلست على الكرسي وفتحت التلفاز، وتعمدت ألا تعطيه أي اهتمام. أخذ الورق من مكتبه وذهب.

وبعد وقت قليل، أتتها منارة وسألتها: ماذا تريد؟ سألتها عن ماريا وما قالته ليلة أمس، وطلبت منها تفسيرًا.

ابتسمت منارة وأخبرتها أن كل هذا مجرد لعب، فثارت زهرة في وجهها واتهمتها بالكذب، وهددتها أنها سوف تطردها إن لم تخبرها بالحقيقة كاملة.

بكت منارة وتوسلت إليها، أنها تريد العمل لإرسال النقود إلى ابنتها اليتيمة التي تركتها في رعاية والدتها.

هنا حاولت زهرة أن تسيطر على أعصابها، وتظاهرت بالهدوء، وطلبت منها أن تقول الحقيقة كاملة، فأخبرتها وهي ترتعش أن ماريا تتحدث مع قرينها، ويخبرها بكل ما تسأله عنه، وأنه شديد الغيرة عليها، ولكنه غاضب منها هذه الأيام لعلمه أنها على علاقة مع رجل من الإنس.

سألتها زهرة: من يكون هذا الرجل؟

فقالت لها: إنها لا تعلم أكثر من هذا.

وكان وجهها يظهر عليه الكذب، ثم واصلت حديثها، وطلبت منها ألا تخبر السيدة ليلى بما قالته.

وفي تلك اللحظة، دق جرس المنزل، فطلبت منها أن تفتح وترى من بالباب، فذهبت وفتحت الباب، فوجدت ليلى وماريا أمامها، فارتبكت، وقالت بصوت مرتفع: "السيدة ليلى قد حضرت".

نهضت زهرة سريعًا، وألقت عليها السلام، وأدخلتها غرفة الجلوس، وطلبت من منارة تحضير الفطور والشاي والكيك.

سألت ليلى زهرة عن حالها، ولماذا كل هذا الاضطراب، وهل هذه الأمور تستحق كل هذا التوتر؟

ترددت زهرة قليلًا، فهل تخبر ليلى بما سمعته من منارة خادمتها أم لا؟ ولكن سرعان ما أنهت هذا التردد، وقالت لليلى عن كل ما سمعته من منارة، وطلبت منها ألا تخبر ماريا، لكن ليلى لم تأخذ الكلام بعين الاعتبار، فماريا لا تخرج من المنزل إلا بصحبتها، فهي لا تسمح لها بالخروج وحدها أبدًا، حتى لا تعرض نفسها للمساءلة القانونية في حالة حدوث أي مشكلة، فماريا من بلد آخر، وغير مسموح لها بالخروج وحدها دون سيدتها.

لكن زهرة كانت أكثر ذكاءً، فسألتها عن نومها الكثير في الفترة الأخيرة، وأن في أول معرفتها بها لم تكن تنام كثيرًا هكذا، انتبهت ليلى وقالت لها: "هذه حقيقة، فأنا أشعر بالدوار وأنام أكثر من اللازم."

فنصحتها زهرة بعمل تحاليل لمعرفة السبب.

دخلت منارة بالفطور والشاي، فطلبت ليلى منها أن تأتي بماريا، فقد طلبت السيدة زهرة رؤيتها.

حضرت ماريا، فطلبت منها زهرة أن تفتح لها أوراق التاروت، وألا ترفض مثل أمس، وإلا ستغضب منها.

ابتسمت ماريا، وطلبت منها بعض الوقت لتذهب وتأتي بالأوراق من المنزل.

انشغلت ليلى بمكالمة هاتفية، وسرحت زهرة مع نفسها، تلومها على ضعفها، فهي تعلم أن قراءة الفنجان والودع والتاروت ومثل هذه الأشياء من المحرمات، وعقابها شديد، وأن لطيفة أمها كانت دائمًا تحذرها، وتقول لها إن هذه الأمور معصية كبيرة، تبطل الصلاة، وتجعل من يخوض فيها فريسة للشياطين. ولكن زهرة أخذت في إيجاد المبررات الكاذبة لنفسها، أنها لا تؤمن بهذه الخزعبلات، وأنها تأخذ الأمر من باب التسلية فقط.

زهرة كانت في أول الأمر ترفض حتى الكلام في هذه الخزعبلات، ودائمًا كانت ليلى تحاول أن تقنعها بأن الموضوع مجرد لعب وتسلية ليس أكثر، ولكن للأسف زهرة الآن هي من تهتم أكثر من ليلى، فماذا جعلها في هذه الحالة الجنونية فجأة؟ أيكون شكها في نادر زوجها، أم أحلامها الغريبة في الفترة الأخيرة؟

فكانت دائمًا تحلم: (أنها في مكان مجهول فوق مبنى ضخم، وهناك رجل أسمر البشرة، طويل، عريض المنكبين، كحيل العينين،

بهي الطلة، ورائحته جميلة كرائحة المسك والعود، يحاول أن يضمها إلى صدره ويمسك بها بشدة، حتى كانت تشعر بأن ظهرها سينقسم إلى نصفين، ويحاول أن يضع في رقبتها قلادة ذهبية رائعة الجمال، ولكنها كانت تهرب منه وترفض أن ترتديها، ويجري وراءها فتنزلق قدمها فتقع على صخرة غارقة في الدماء.)

وكانت تستيقظ من هذا الكابوس بصعوبة شديدة، وكل جسدها يرتعش، والغريب، أنها كانت تشعر بوجع في ظهرها وكتفيها طوال اليوم، وكأن ما حدث حقيقة وليس بحلم. وكان هذا الكابوس يتكرر كثيرًا، لدرجة أنها كانت أحيانًا تخاف من النوم.

وبينما كانت زهرة غارقة في تفكيرها، انتفض قلبها على صوت ماريا المزعج وهي تقول: "أنا أحضرت الورق يا سيدة زهرة". فطلبت زهرة من ليلى أن تنهي المكالمة الهاتفية التي معها سريعًا، فأنهتها في الحال.

جلست ليلى وزهرة وماريا ومنارة حول الطاولة، وطلبت ماريا تخفيف الإضاءة قليلًا. ثم طلبت غلق الأنوار تمامًا، والاكتفاء بضوء الشمعة، ثم طلبت من منارة بعض أعواد القرنفل لتضعهم حول وهج الشمعة، فبدأت ليلى تقلق أكثر، فكانت لا تعلم سبب طلب ماريا لأعواد القرنفل، فهل حقًا الأعواد تلزمها في القراءة، أم أنها فقط تريد أن تفعل جوًا خاصًا لنفسها وطقوسًا لخزعبلاتها؟

بدأت ماريا في التمتمة بصوت منخفض لمدة خمس دقائق تقريبًا، ثم بدأت في ترتيب الورق بشكل هرمي، وإذا فجأة، تغيرت ملامحها كما تغيرت المرة السابقة، فاسودت بشرتها، وبدت شاحبة، وجحظت عيناها وتحولت إلى اللون الرمادي الداكن، وظهرت في شكل رجل عجوز قبيح الملامح ومخيف، ثم بدأت تتحدث مع زهرة، وسألتها عن الرجل الأسمر النحيل الذي تفكر فيه دائمًا، فارتبكت زهرة، وقالت في عقلها: "أنه محمود"، ولكنها أنكرت، وقالت لها إن هذا الكلام كذب، فنظرت لها ماريا بعينيها الجاحظتين، وأخبرتها إن إنكارها سيكون السبب في أذيتها.

خافت زهرة، وقالت إنها لا تريد التحدث في هذا الأمر. رفعت ماريا كفها، وأعوج فمها، وابتسمت وهي تهز رأسها إلى الأعلى وإلى الأسفل، ثم أخبرتها أن زوجها نادر يحبها، ويهتم بها، ويريد أن يسعدها، ولكن هناك امرأة في منتصف العمر، جميلة، وملفوفة القوام، وشعرها أحمر ناري، وذات بشرة حنطية مثيرة، وعينها خضراء واسعة، ورموشها سوداء وطويلة. هذه المرأة تشاركها قلب زوجها، ولها مكانة خاصة عنده، ولن يستغني عنها أبدًا.

قاطعتها زهرة وقالت: "لا، لا، هذا ليس صحيحًا، فزوجي يحبني، توقفي عن هذه التخاريف". فوبختها ماريا بشدة، وأخبرتها إن كررت كذبها فسترسل من يضربها بالكرباج في ليلتها القادمة، فانزعجت زهرة وخافت، خاصة أن ماريا كانت تتحدث بصيغة المذكر وكأنها رجل.

صمتت ماريا قليلًا، ثم تابعت الحديث، وسألتها عن شكوكها في زوجها، فهو يغلق غرفة مكتبه عليه بالساعات، فهزت زهرة رأسها، ونظرت إلى الأسفل، وهي خجلانة من صديقتها ليلى.

تابعت ماريا الحديث، ونصحتها أن تتجاهل هذه العلاقة، فإنها لن تنتصر على عشيقته، فغضبت زهرة، وقالت لها: "إن كان هذا الأمر صحيحًا، فستكون هذه المرأة تسحر له".

فضحكت ماريا، وقالت لها: "لا، لم تسحر له، بل زوجك نادر يحبك، ولكنه يعشقها، فهي في منزلة أعلى عنده منكِ، فبينهما علاقة منذ سنوات طويلة".

تلجلجت زهرة في الكلام، وقالت لها: "لا، بل تسحر له وترسل لي الكوابيس المرعبة".

صمتت ماريا قليلًا، ثم طلبت من زهرة أن تختار ثمانية أوراق، ثم تعطيهم لها، ففعلت زهرة، فطأطأت ماريا رأسها، وأغمضت عينها الشمال فقط، ثم تابعت حديثها، وأخبرتها: "الرجل الذي يأتي إليكِ في منامك، ملك عظيم لقبيلة كبيرة من العالم الآخر فيما وراء البحار، وأنه يريدك زوجة له".

ارتعشت زهرة، وسألتها: "كيف يريدني زوجته؟"

انتفضت ماريا فجأة، وارتعشت، وكأن أحدًا لطمها على وجهها، ثم أخذت تردد كلمات غير مفهومة، ثم قالت:

"العفو والصفح من الملك العظيم، أنا لم أفشِ السر، لن أقول، العفو، الصفح، لا تحرقني، لا تحبسني، من الآن أنا خادمك المطيع الأمين، ووهبت دمي للصخرة السامقة".

ولكن لم تعلم زهرة ممن تطلب العفو والصفح، ومن الذي سيحرقها، ولماذا كانت تتحدث بصيغة المذكر؟

ولكن ماريا كانت تقول لزهرة وهي ترتعش: "اسألي لطيفة أمك عن جدتها الملكة العظيمة صفية".

فارتعدت زهرة، وسألتها: "كيف علمتِ اسم أمي وجدتي؟"

وهنا ارتمت ماريا على الأرض في حالة إغماء تام.

أسرعت ليلى وزهرة ومنارة، كل واحدة فيهن تحاول أن تساعد ماريا في الإفاقة، ولكن حدث ما لم يتوقعونه. دخل نادر، ورأى هذا الوضع الغريب، ففتح الأنوار، وألقى بالماء على وجه ماريا، وضربها ضربات عنيفة على وجهها، حتى فتحت جفونها، فجلست وأخذت تبكي وتصرخ، وكانت تنظر إلى ليلى نظرات مريبة، وتهمهم بحروف غير مفهومة.

طلب نادر من زهرة أن تنهي هذا التجمع في الحال، وتركهم، ودخل إلى غرفة مكتبه. طلبت ليلى من منارة أن تساعدها في إسناد ماريا للرجوع بها إلى المنزل، فتأسفت لها زهرة عن ما حدث من نادر، فأشارت لها ليلى بإصبعها، وقالت: "كفى يا زهرة، فأنا أخطأت عندما وافقتك على هذا العبث واللعب الفارغ"، ثم لملمت متعلقاتها وانصرفت.

اشتعلت مشكلة كبيرة بين نادر وزهرة، وطلب منها تفسيرًا لما رأى، فأجابته أنه ليس له الحق في معرفة ما يحدث، وأنه كما غضب وطلب منها ألا تدخل عليه غرفة مكتبه دون استئذان، ولم يخبرها مع من كان يتحدث في منتصف الليل، فهو أيضًا لا يسألها عن خصوصياتها. ولم يشعر نادر بنفسه إلا وهو يصفعها على وجهها، فسقطت زهرة مغشيًا عليها، فطلب نادر الطبيب، وبعد الكشف عليها حدثت المفاجأة، زهرة حامل.

فرح نادر، وجلس بجانبها يعانقها، ويحاول أن يصالحها، ولكنها بكت، وطلبت منه أن تسافر إلى بلدتها، وتقضي شهور حملها عند أمها، فوافق نادر على شرط أن تصالحه وتسامحه، فهو يحبها كثيرًا، ولا يطيق خصامها، ثم أخذها في العطلة إلى أحد الفنادق الساحلية، واستمتعا بوقتهما ثلاث ليالٍ، وبالطبع لم تخبره زهرة بما قالته ماريا، حتى لا تشعل نيران غضبه، كما أنها لا تستطيع اتهامه بالخيانة لمجرد الاستماع لهذه الخرافات.

ولكنها ظلت تفكر، كيف عرفت ماريا اسم أمها؟ ولماذا تصف الجدة صفية بالملكة؟ فهل من الممكن أن تكون خادمتها منارة هي من أخبرتها بالاسم؟ أتكون عرفته عن طريق الأوراق مثلًا؟ أو عن طريق مكالماتها الهاتفية مع أمها، فهي دائمًا تمازحها وتناديها بلطيفة؟ ولكن من أخبرها باسم الجدة صفية؟ ولماذا تلقبها بالملكة؟ صمتت زهرة ولم تتكلم، فهي تريد أن تعود إلى بلدتها دون أي مشاكل مع نادر.

الفصل الثالث عشر
كشف الأسرار

عادت زهرة من السفر واستقبلتها لطيفة بدموع الفرح، فقد اشتاقت لها كثيرًا. وفرحت أكثر عندما علمت أنها ستقيم معها حتى تضع حملها، وأرسل نادر معها خادمتها منارة لتكون في خدمتها. لم تُخفِ زهرة عن أمها أي شيء، وروت لها كل ما حدث معها في فترة غيابها عنها، وعن شكوكها في نادر، وعن جارتها ليلى، وما حدث مع ماريا. لكن لم تهتم لطيفة بكل اتهامات زهرة لنادر، ولكن تغير لونها وارتبكت، وتشوش تفكيرها، وتلعثمت، وانعقد لسانها، واختل توازنها، حتى كادت أن تفقد وعيها. كل هذا حدث لها بعد ما سمعت حكايتها مع ماريا، وما قالته لها هذه الشيطانة.

اضطربت زهرة وأصابها الفزع، وأحضرت لها على الفور ماءً وعصيرًا، وساندتها حتى دخلت إلى غرفتها وأجلستها على سريرها، وأخذت تطبطب عليها حتى هدأت واستقرت حالتها. سألتها زهرة:

_ ماذا تُخفين عني يا أمي؟

ثم ذكَّرتها بالحياة المضطربة التي عاشتها معها، ولأول مرة تنفجر زهرة في الحديث قائلة:

_ لقد عشت معك أسوأ سنوات عمري، وأنا أراكِ تكررين نفس الأخطاء وتنتقلين من تجربة سيئة إلى أخرى أسوأ منها، ونسيتِ في زحام تجاربك أن لكِ ابنة تحتاج منكِ الرعاية والاهتمام. لم تكوني لي صديقة كما تمنيت، كنتِ تتركينني أجلس في غرفتي بمفردي لا تعلمين عني شيئًا، حتى كنتِ تُخفين عني مشاكلك ولا أعلم بها إلا في النهاية مثل الأغراب. لم تهتمي بمعرفة أسراري، وتركتِني أخوض

بمفردي تجاربي التي لا تعلمين عنها شيئًا. حتى نادر، تزوجته حتى أهرب من حياتي المتقلقلة التي عشتها معكِ.

فنظرت لها لطيفة وابتسمت ابتسامة يتخللها سخرية، وقالت لها:

_ ذكرتِني عندما قلتُ نفس الكلام لأمي عندما كنتُ في مثل عمرك.

فخجلت زهرة من نفسها، وفهمت مقصد أمها مما قالته، فاعتذرت لها واستحلفتها أن تحكي لها الحقيقة كاملة، وماذا عن الجدة صفية؟ فلم تجد لطيفة مفرًّا، وحكت لابنتها عن كل ما أخفته عنها طوال السنوات الماضية، وتوسلت إليها ألا تسير في هذا الطريق، فإنه طريق مسدود ومظلم. واستعطفتها أنها لا تريد أن تخسرها، وأنها النور الذي تبقّى لها من دنيتها المظلمة، وأصرت أن تأخذ وعدًا منها، وبالفعل، وعدتها زهرة.

وأكملت لطيفة حديثها بنصيحتها لها ألا تستسلم أبدًا لهذا الرجل الذي يأتيها في أحلامها، ولا تقبل منه القلادة التي يريد أن يضعها في رقبتها، لأنها بمجرد أن تقبل أن ترتديها ستنقلب حياتها رأسًا على عقب، وسيسيطر عليها سيطرة تامة. وحكت لها عن الحلم القديم التي كانت تستيقظ منه وهي تصرخ، وحكت لها ما قالته لها جدتها صفية عن أن نسب الملك سمعان لن يخرج من العائلة. بكت لطيفة بحرقة، وحذرتها من عدم سماع نصائحها، خصوصًا أن الجدة صفية مريضة وعلى فراش الموت، وبدأ الخطر يقترب.

مضت الشهور، وأنجبت زهرة مولودة جميلة مثلها، تأخذ عقل من يراها، وجاء سمير من السفر ليكون بجانب زهرة في تلك الأيام، واختار لابنته اسم "عهد". فسألته زهرة:

_ لماذا اخترت عهد؟

أجابها قائلًا:

_ لأن تلك المولودة الجميلة التي تشبهك، ستكون هي العهد الوثيق الذي سيربطنا ببعض مدى الحياة.

فرحت زهرة بلطف نادر وحبه لها، وكأنه يريد أن يطمئنها أنها وابنتها "عهد" هما كل حياته. لم يأتِ سمير لرؤية حفيدته، فقد كان على سفر، واكتفى برؤية صورها.

جاء موعد السفر، فودعت زهرة أمها وداعًا حارًا، ولم تنسَ لطيفة بتذكيرها بالنصائح التي نصحتها بها. بدأت زهرة حياة جديدة مستقرة مع نادر، الذي أصبح أكثر لطفًا وحنانًا. بعد عودتها إلى منزلها، حضرت ليلى لتهنئة زهرة، وأهدت "عهد" سوارًا وخاتمًا من الذهب. ولكن لاحظت زهرة أن ماريا لم تكن معها، وكان معها خادمة جديدة، فسألتها إن كانت ماريا تركت العمل عندها؟

تنهدت ليلى بحزن، وأخبرتها أنها فعلت بنصيحتها، وعملت تحاليل، واكتشفت أنها تتعاطى أقراصًا منومة، فبدأت تنتبه للكلام الذي قالته منارة عن علاقة ماريا بشخص آخر غير قرينها، فقررت أن تكشف الحقيقة، وركزت في روتينها اليومي، فلاحظت أن زوجها

سامح يصر على شرب عصير الليمون الطازج معها قبل النوم. ثم تنهدت قائلة:

_ وفي ليلة، سكبت العصير ولم أشربه، ثم تظاهرت بالنوم العميق.

فحملقت زهرة بعينيها وسألتها:

_ ماذا وجدتِ؟

بكت ليلى بقهر، وقالت لها:

_ سامح كان يخونني مع ماريا، ورأيتهم بعيني في وضع مخجل، ولكنني تحملت على مضض، ولم أواجههما حتى صوّرتهما وهما في هذا الوضع حتى يعيش ذليلًا لي.

سألتها زهرة بحسرة:

_ وماذا فعلتِ معه يا ليلى؟

أجابتها ليلى:

_ طردت ماريا أولًا، وأرسلتها إلى موطنها. وأما عن سامح، فما زالت المشاكل مشتعلة بيننا. أنا حاولت أن أسامحه، ولكنني لست قادرة على نسيان ما رأيته بعيني، فقد رأيتهما في وضع مشين. فسألتها زهرة:

_ ولماذا لم تطلبي الطلاق؟

فابتسمت ليلى بأسى وحزن، وقالت لها:

_ أنا لا أريد الطلاق حتى لا أعود مكسورة النفس لمنزل عائلتي، وأنا قد اعتدت على مستوى معيشة لا يمكنني أن أتنازل عنه. ولكنني قررت أن أؤمن حياتي من المال الذي أدبره دون علمه، وهو أصبح يشتري لي الهدايا الثمينة من الذهب والألماس ليرضيني، وسيأتي الوقت الذي سأقرر أنا الطلاق منه، ولكن بعد أن أحقق الهدف وأصبح لست بحاجة إليه. وأريدك أن تنتبهي إلى نادر يا زهرة، وتذكري ما قالته الملعونة ماريا.

حزنت زهرة كثيرًا لما حدث لصديقتها ليلى، وقالت لنفسها:

"نادر هو زوجي وحبيبي، وقد وعدني بالسعادة والإخلاص."

ومضت الشهور بسلام واستقرار.

في مساء يوم، أخبر نادر زهرة أن والدته "سعاد" وأخته "فاتن" المنفصلة عن زوجها ستأتيان لزيارتهما لمدة ستة أشهر. رحبت زهرة، واستعدت لاستقبالهما، ولكنها تعجبت، وسألت نفسها: "لماذا لم يخبرني نادر أنه يُعد الأوراق لاستقدامهما؟ ولماذا لم يخبرني إلا بعد إنهاء كل الإجراءات؟ ألهذا الحد لا رأي ولا أهمية لي؟"

ثم سألت نفسها في غيظ: "ولماذا لم يطلب من أمي أن تأتي هي أيضًا؟"

وبعد عدة أيام حضرت والدته وأخته، واستقبلتهما زهرة استقبالًا حافلًا، ومع مرور الوقت ارتبطت عهد بهما كثيرًا، خصوصًا

عمتها فاتن، فهي لم تنجب واعتبرت عهد مثل ابنتها تمامًا، لدرجة أن البنت تعلقت بها أكثر من تعلقها بأمها.

وذات يوم، دخل نادر على أمه وأخته بهدايا ثمينة وغالية الثمن، وأخبرهما أن أصدقاءه في العمل جمعوا المال واشتروا لهما هدايا للترحيب بهما.

ولكن اندهشت زهرة وسألت نادر:

_ ولماذا لم يرسل أصدقاؤك لي الهدايا وأنا عروس، مثلما أرسلوا لوالدتك وأختك؟

فأجابها:

_ بالطبع لن أسألهم، لماذا لم ترسلوا هدايا إلى زوجتي؟

فسألته:

_ ولماذا لا يتزاورون هم وزوجاتهم معنا؟

فأجابها بانفعال:

_ أنا لا أحب الاختلاط، وتذكري أنني طلبت منكِ قبل ذلك ألا تفتحي هذا الموضوع معي.

اتلخبطت زهرة وشعرت بعدم الأمان، وأن هناك سرًا لا تعرفه، وتفقد معرفة الطريق الذي سيكشف لها هذا السر، خصوصًا أن الكذب يظهر بوضوح على ملامحه، وأن هذه الهدايا وراءها قصة.

وفي ذات صباح، دخلت منارة إلى غرفة سيدتها زهرة وأعطتها فاتورة شراء وجدتها في بعض الشنط الفارغة التي تخص والدة زوجها وأخته، وسألتها:

_ هل ألقيها في سلة النفايات؟

فأمسكت زهرة بالفاتورة وقرأتها، فوجدتها باسم: "عهد عثمان عز الدين."

اندهشت زهرة وسألت منارة في أي شنطة وجدتها؟

فأحضرت لها الشنطة، وإذا هي من شنط الهدايا التي من المفترض أنها من أصدقاء نادر، فيظهر أن الفاتورة متروكة في الشنطة عن قصد أو بدون قصد من هذه المرأة.

انزعجت زهرة وفكرت: ماذا ستفعل؟ ثم اتصلت بدون تردد بصديقتها ليلى واستأذنتها في الزيارة، فرحبت بها.

ذهبت زهرة لها وارتمت في حضنها وبكت، وأخبرتها عن موضوع الفاتورة، وقالت لها:

_ أن المرأة اسمها عهد، فهل قام نادر بتسمية ابنته على اسم عشيقته؟ أفلهذا الحد يعشقها ويريد أن يسعدها على حساب كرامتي ومشاعري؟

ثم مسحت دموعها وقالت:

_ إذًا ماريا لم تكن تكذب عندما أخبرتني بخيانة نادر لي.

غضبت ليلى وقالت لها:

_ لا تذكري اسم هذه الشيطانة أمامي مرة أخرى.

أمسكت زهرة يد ليلى واتكأت عليها، ثم طلبت منها المساعدة، فهي لا تحتمل الصدمة، وتريد أن تعرف من هذه المرأة وما علاقتها بنادر؟ فطلبت منها ليلى ألا تبكي، وهي ستأتي لها بالخبر اليقين.

عادت زهرة إلى منزلها ووجهها أصفر شاحب، فسألتها والدة زوجها وأخته عن ذلك، فأخبرتهما أنها متعبة قليلًا.

وعندما حضر نادر، سألها عن حالها، فأخبرته أنها تشعر بدوار في رأسها، فطلب منها أن ترتاح ولا تشغل بالها بعهد ابنتهما، فأخته فاتن سترعاها.

دخلت زهرة لغرفتها وتظاهرت بالنوم، وهي في الحقيقة يقظة، تتألم ويعتصر قلبها من الحزن، وشعرت بدقات قلبها تخبط في صدرها وكأنها مطرقة من حديد.

وبعد عدة أيام مروا عليها كالشهور، طلبتها ليلى، فذهبت زهرة على الفور، ولكنها وجدتها حزينة ومرتبكة. فسألتها: أن تخبرها ماذا عرفت عن نادر؟

فأخبرتها أنها استعانت بضابط متزوج من صديقة لها من أهل البلد، وطلبت منه عمل تحريات بصفة سرية فيما بينهم، ويأتي إليها بالخبر.

ارتعشت زهرة وسألتها:

_ ماذا أخبرها؟

فقالت لها ليلى:

_ عهد زوجة لنادر منذ سنوات، وهي من قبل أن يتزوجك. عهد امرأة ثرية من جنسية البلد التي يعمل بها نادر، ومنفصلة عن زوجها منذ سنوات عديدة، وهي تكبر نادر في العمر بخمسة أعوام، وهي امرأة فائقة الجمال كما وصفتها الشيطانة ماريا، ذات قوام ملفوف، شعرها أحمر ناري، وبشرتها حنطية مثيرة، وعيناها خضراوان زيتونيتان غامقتان وواسعتان. إنها ثرية جدًا، وتعطي نادر أموالًا كثيرة. والضابط زوج صديقتي أكد لي أنه متزوجها سرًا بورقة عرفية، وهي ليست عشيقة له كما تصورنا، فهي امرأة عفيفة وملتزمة، ولها سمعة حسنة، ولكن قانون بلدتها يمنع زواجها من خارج جنسيتها.

ثم أكدت على زهرة أن تلك المعلومات لا أحد يعلمها، وأن التحريات الدقيقة هي من كشفت ذلك السر، وأن هناك بعض الأصدقاء المقربين لهما يعلمون بهذا الزواج ويباركونه.

عادت زهرة إلى منزلها وهي كالفرس الشريدة الجامحة، وانتظرت نادر حتى عاد من العمل، وأخبرته على الفور أنها علمت بكل ما يخفيه عنها، وقالت له:

_ يا عديم الضمير، يا فاسد الأخلاق، كيف تسمي ابنتنا على اسم عشيقتك؟ أفلهذا الحد انعدم ضميرك ولا تكترث بمشاعري؟ وإن كنت تحب عشيقتك كل هذا الحب، فلماذا تزوجتني إذًا؟

ثم انفعلت عليه وأخذت تضربه بهستيريا، فمسك نادر يدها وطلب منها أن تخفض صوتها. فزادت زهرة في الصراخ وانهالت عليه بالشتائم والإهانات، فتدخلت والدته في العراك وطلبت منهما الهدوء،

وهنا ارتفع صوت نادر وأخبرها أن عهد زوجته وليست عشيقته، وأنه لم يكن يريد زوجة غيرها، وإنه يريد أن ينجب ويصبح له أبناء، وعهد لن تقدر على تحقيق رغبته، فاضطر للزواج مرة أخرى حتى يكون له أبناء. ثم حذرها؛ إن استمرت في الشتائم والصراخ أكثر من ذلك، فسيطلقها على الفور، واتهمها أنها هي من بحثت عن المتاعب والمشاكل عندما فكرت في التجسس عليه، فلتدفع ثمن فعلتها. ثم خرج وترك المنزل. طلبت والدته من زهرة أن تكون ذكية، فكان يجب ألا تخبره أنها علمت بما يخفيه عنها، وسألتها لماذا لم تخبرها قبل مواجهته، فهي في مقام أمها، وكانت ستخبرها بالتصرف الصحيح. بكت زهرة وقالت لها: لا أحد يعلم بالنار المشتعلة في قلبي، ونادر أشعلها أكثر عندما سمى ابنتهما عهد على اسمها.

فطلبت منها فاتن أن تهدأ وتنام قليلًا حتى يعود نادر، ويفكرون جميعهم في حل لتلك المشكلة. فصرخت زهرة وقالت إنها لا تريد حلًا، ولكنها تريد الطلاق، ولن تعيش معه أبدًا هذا الخائن. ثم دخلت غرفتها وأغلقت الباب، وفكرت: "هل تخبر والدتها لطيفة؟ ولكن إذا مرضت والدتها من حزنها عليها، فمن سينقذها؟"

وبعد ساعات عاد نادر، فتحدثت معه والدته، ولكنه بعد الشتائم التي شتمته زهرة له، والإهانات التي وجهتها إليه، لم يعد يهمه أمرها، وأخبر والدته أنه لن يترك عهد زوجته، وطلب منها أن تخبر زهرة بألا تفتح معه هذا الموضوع مرة أخرى، وتعيش معه وكأنها لم تعرف شيئًا، وهذا أفضل لها. ولكنها يجب أولًا أن تحكي له كيف عرفت هذه المسألة السرية، ومن الذي أخبرها وساعدها؟

ولو أنه يعلم جيدًا أن جارتها ليلى الخبيثة هي من ساعدتها.

سمعت زهرة ما قاله نادر لأمه، وشعرت كم هي مقهورة، ولا ثمن لها عنده، وأن كل ما يهمه هو معرفة من الذي ساعدها.

قررت زهرة أن تعتزل نادر لفترة من الوقت، حتى تفكر في القرار الذي ستأخذه إن لم يتراجع عن زواجه من عهد. ونامت هذه الليلة في غرفة أخرى، ونقلت بداخلها كل أغراضها الشخصية.

وفي هذه الفترة، كانت عهد ابنتها تنام مع عمتها فاتن، فهي متعلقة بها كثيرًا، وتقضي معظم الأوقات معها، وهذا ما جعل زهرة تطمئن عليها إلى حد الإهمال.

الفصل الرابع عشر
الخيانة الخفية

تركت زهرة إدارة المنزل إلى والدة نادر، ورعاية ابنتها الصغيرة إلى فاتن، بينما بقيت منارة تقوم بأعمال المنزل.

ظلت زهرة تقضي كل وقتها في غرفتها تبكي وتفكر بقلق في حل للكارثة التي حلت بها.

وفي ليلة قمرية جميلة، حيث كان القمر بدرًا، وقفت زهرة تنظر إليه وتتحدث معه كما كانت والدتها لطيفة تفعل.

لطيفة لا تزال تحتفظ بجمالها وجاذبيتها، ولكن للأسف لم تجد الحظ السعيد مع الأهل أو الزوج أو الأصدقاء.

نظرت زهرة إلى السماء، ثم أشارت إلى القمر وكأنها ترى فيه حبيبًا يبتسم لها، ثم ارتشفت قهوتها وهي تتأمل الأحداث التي مرت بها.

وجدت زهرة أنها ورثت من والدتها الجمال والجاذبية، ولكنها أيضًا ورثت حظها العاثر. وبعد أن فرغت من قهوتها، ذهبت إلى النوم وألقت بجسدها المنهك على سريرها، واستسلمت لنوم عميق.

وفي أثناء نومها، ظهر لها نفس الرجل الأسمر الطويل عريض المنكبين الذي تراه دائمًا في أحلامها، والذي يتميز بطلته البهية، لكن هذه المرة لم يأتِ محاولًا عناقها أو وضع القلادة في عنقها، بل اختطفها من سريرها وطار بها إلى الأعلى، فشعرت زهرة وكأنها تعتلي السحاب وتسكن بين النجوم، ورأت السماء تمطر حبات لامعة من اللؤلؤ والياقوت.

ثم اعتلى بها إلى سطح القمر، حيث رقص معها وعانقها وطبطب على شعرها الأسود اللامع. بعد ذلك أخذها وهبط بها إلى أعماق البحار المظلمة.

والغريب أنها وجدت نفسها تتنفس تحت الماء بسهولة، ثم دخل بها إلى مملكة كاملة من الذهب والفضة والألماس.

رأت طيورًا براقة رائعة الجمال، وأشجارًا خميلة تثمر تفاحًا من الذهب، وتفاحًا من الفضة، وأشجارًا أخرى تطرح فاكهة لم تعرف اسمها، تشبه بلورات الألماس.

ورأت شجر الفواكه المتنوعة وألوان الفاكهة المبهجة الزاهية اللامعة التي تختلف عن ألوان الفاكهة التي تعرفها واعتادت عليها. ثم دخل بها كهف العشاق الذي كانت معالمه تضوي كالألماس.

ثم حملها إلى بحيرات عذبة جميلة، حيث رأت وجهها المشرق منعكسًا فيها كالمرآة. ورأت جبالًا من الفضة وجبالًا أخرى من الذهب.

بعد ذلك، دخل بها إلى قصره الألماسي، فرأت أثاثًا براقًا ومضيئًا ولامعًا من الذهب والفضة، ومفروشات من حرير ناعم له بريق جذاب وألوان مبهجة. كما رأت لوحات وتحفًا فنية من أثمن الأحجار الكريمة النادرة. وكانت الأرضيات من المرمر الأخضر المتجانس مع عروق بنية وأخرى كريمية، والأسقف الفاخرة المصنوعة من الذهب والفضة.

وكانت هناك صناديق كثيرة تحتوي على المجوهرات والسلاسل والخواتم والأساور الذهبية والفضية والألماسية، والملابس المنسوجة من خيوط الذهب الخالص والحرير الناعم الساطع المرصع بالجواهر النفيسة. أمر الملك كايوس العبيد بتحضير الطعام، فتناولت معه أشهى وألذ طعام أكلته في حياتها. وبعد هذه الليلة الرائعة، حملها بين يديه وطار بها، وألقاها على سريرها، وقبّلها على جبينها وطلب منها ألا تحزن، وأخبرها أنه سيأتي إليها مرة أخرى.

استيقظت زهرة وكأن ما حدث حقيقة، فهي ما زالت تشعر بآثار يده على جسمها وتشعر بقبلته التي وضعها على جبينها. وفي تلك اللحظة، دقت فاتن باب الغرفة، فأذنت زهرة لها بالدخول، فدخلت وهي تحمل عهد، فأخذتها زهرة وضمتها إلى صدرها وعانقتها.

وهنا دخلت سعاد، والدة نادر، وطلبت منها الحضور لتناول فطورها. رفضت زهرة وأخبرتها أنها أكلت، فكان ما زال مذاق الطعام الشهي في فمها.

طلبت سعاد من فاتن تحضير صحن من الطعام وتركه بجانبها على الطاولة. ثم نصحتها بأن تخرج من عزلتها وتواجه الأمر بواقعية، فنادر لن يترك عهد زوجته، كما أنه أيضًا له مصالح معها في العمل، وعليها أن تقبل الوضع وتنتبه أنه تزوج منها بعد زواجه من عهد بسنوات عديدة، فالمفترض هنا أن عهد هي زوجته الأولى، وهي التي من حقها أن تغضب أنه تزوج امرأة غيرها.

غضبت زهرة من كلام والدته، واتهمتها قائلة:

_أنتِ تبحثين فقط عن المال، وعن راحة ابنك الكاذب الخائن الذي لا يعرف الشرف، فكان من الأكرم له أن يصارحني بوضعه المخجل المخزي، ويترك لي حق الاختيار في قبول زواجي منه أم لا.

ثم سألتها بسخرية:

_هل إن كانت عهد، زوجة ابنك المحترم، ليست ثرية بل تأخذ منه المال، فهل سيكون لكِ نفس الرأي؟

مرت الأيام وزهرة ما زالت في عزلتها داخل غرفتها، ولا تريد الأكل معهم ولا الجلوس، فكانت منارة تدخل الطعام لها في غرفتها. والغريب أن نادر لم يهتم بها، ولم يسأل حتى عن حالها، ولم يفكر أن يعتذر لها شارحًا أي مبررات، ولو بالكذب.

شعرت زهرة بالإهانة، خاصة أمام والدته وأخته، وركبها العناد أكثر، وبقيت منعزلة في غرفتها. وكانت تنتظر كل ليلة حضور هذا الرجل الوسيم ليأخذها إلى عالمه الساحر. قد كان يأتيها على فترات، ثم أصبح يأتيها ليلة بعد ليلة، ثم أصبح معها كل ليلة. وأخبرها أنه ملك من ملوك العالم الخفي، واسمه الملك كايوس، حاكم مملكة الياقوت الدامي، وهي جزيرة غارقة في أعماق البحور المظلمة.

ثم تطور الأمر بينهما، فأصبح يظهر لها ويجلس معها، ويتحدث إليها بالساعات.

في أول الأمر، خافت زهرة وفزعت منه عندما ظهر لها، ولكن سرعان ما شعرت بالطمأنينة، فهي اعتادت عليه في أحلامها، فأصبح قريبًا من قلبها.

ظهر لها أول مرة في غرفتها، فكانت تقف في نافذتها في أول الليل وتشرب قهوتها وتنظر إلى القمر وتسأله: "من يكون هذا الرجل الذي يطير بي إليك كل ليلة لنرقص معًا على سطحك؟"

وفجأة، وجدت يدًا تحتضنها، فانتفضت والتفتت خلفها، فوجدته هو. كادت أن تصرخ من الخوف، ولكنها لم تفعل، فكيف تخاف منه وهي كل ليلة بين أحضانه؟

سألته وهي ترتعش:

_ من تكون؟

فأخبرها قائلًا:

_أنا الملك كايوس، ابن الملك سمعان، ابن الملك يمان.

فقالت له:

_ أعلم أنك الملك كايوس، فقد أخبرتني بذلك من قبل، ولكن ماذا تريد مني؟

فأخبرها قائلًا:

_ أنا أحبك وأريد الزواج منكِ، أنا الملك كايوس، حاكم مملكة الياقوت الدامي تحت أعماق البحار. أنا ملك المملكة التي تأتي معي إليها كل ليلة.

فسألته مندهشة:

_ وكيف يكون هذا؟

أجابها:

_أنا لم أظهر لكِ الآن إلا بعد أن أخذت حكمًا بطلاقك من نادر.

فسألته:

_ كيف هذا؟

فأجابها قائلًا:

_ إن الكاهن الأكبر بالمعبد الملكي أخيرًا حكم بطلاقك من نادر، فيجب ألا تسمحين له بالاقتراب منكِ أبدًا.

ثم أخبرها أنه يعلم بكل ما حدث بينهما، وكيف خانها وكذب عليها، فبكت زهرة وسألته ألا يؤذيها، فعانقها وقال لها:

_ كيف أسيء إلى حبيبتي وزوجتي المستقبلية؟

وطلب منها أن تطمئن إليه، فأنها ستصبح زوجته قريبًا بعد انقضاء عدتها. فتعجبت زهرة مما سمعت منه، وسألته:

_ من يكون الملك سمعان؟

ابتسم الملك كايوس، وقال لها:

_ الملك سمعان رحمه الله هو والدي، وكان متزوجًا من الجدة صفية، فهي كانت حبه الوحيد. فقد تزوجها وهي أرملة شابة،

وعاشت معه طيلة حياتها في سعادة تامة، وساعدها في رعاية وتربية أبنائها. وكانت تزوره كل ليلة في قصره، ويختلي بها بالساعات، فقد كان يعشقها كثيرًا، ثم يعيدها إليكم في الصباح.

فسألته:

_ ولماذا كانت تعود ولم تقم مع زوجها الملك سمعان؟

فأجابها:

_ رفضت الجدة صفية البقاء حتى تبقى مع أبنائها فوق الأرض، ولأن الملك سمعان كان يعشقها، فلم يغصبها على ذلك.

فتوترت زهرة وسألته:

_ وهل أنت ستغصبني أن أترك عالمي فوق الأرض؟

فأجابها:

_ إنه يعشقها، ولن يغصبها، وسيفعل معها مثلما فعل الملك سمعان مع الجدة صفية رحمها الله.

فانزعجت زهرة وسألته:

_ وهل توفيت الجدة صفية؟

فقال لها:

_ نعم، توفيت أول أمس، مرضت منذ فترة، ولم تحتمل العيش بعد وفاة والدي الملك سمعان.

فقالت له:

_ لم أتحدث مع أمي منذ فترة لغضبي من عدم شعورها بآلامي.

فسألته:

_ وكيف تم الحكم بطلاقي من نادر؟

فذكّرها بالليلة التي تركته يقبّلها فيها وهي معه في قصره، فبمجرد قبولها لتلك القُبلة أصبحت في الحال ملكًا له، ولهذا السبب حكم الكاهن الأكبر بطلاقها من نادر.

فسألته زهرة:

_ ومن يكون الكاهن؟

فأجابها:

_ إنه هو من يحمي المملكة من السحرة ومن الأعداء، فعنده من العلم ما يجعل كل الأعداء يهابون الاقتراب من المملكة.

ثم أخبرها أن كهنة ورجال المعبد لهم مكانة عظيمة عنده.

صمتت زهرة قليلًا، ثم سألته عن القلادة التي كان يحاول أن يضعها في عنقها.

فطلب منها ألا تكثر الأسئلة، وأنها بمرور الوقت ستعلم كل شيء.

ولكنها أصرت وألحت في السؤال.

ولأن الملك كايوس يعشقها، فأخبرها قائلًا:

_ هذه القلادة، بمجرد أن أضعها في عنقك، فستصبحين زوجتي في الحال. وأعاهدك أنني لن أتهور، وأحاول أن أجعلك ترتديها دون إرادتك مرة أخرى، وسأنتظر انقضاء عدتك أولًا، ثم سأتزوجك.

تعجبت زهرة مما قاله الملك كايوس، وتعجبت أكثر من نادر، الذي لم يحاول الاعتذار لها، حتى والدته وفاتن اعتادوا على هذا، وعهد أصبحت متعلقة بعمتها فاتن، وكأنها هي التي ولدتها.

انشغلت زهرة مع الملك كايوس، ولم تشعر بمرور الوقت، فهي تنام طوال النهار لتسهر طوال الليل معه، فقد أحبته حبًا عظيمًا، فأصبح هو كل حياتها، ولم يبقَ غير سبعة أيام وتلبس القلادة وتصبح زوجته.

وأمرها الملك كايوس بالعودة إلى بلدها والعيش بمفردها، حتى يكون على حريته معها.

تطور الأمر، فأصبح الملك كايوس يأتي لها في كل وقت، وفي أي وقت يشاء، وتتحدث وتضحك معه بالساعات.

كانت تغلق باب غرفتها بالمفتاح، وأصبح صوتها مسموعًا حتى سمعتها والدة نادر وهي تضحك وتتحدث معه.

فغلب على ظنها أنها تتحدث في الهاتف مع رجل غير زوجها، فأخبرتها أنها سمعتها، وأن هذا غير مقبول.

وأضافت أن الرجل من حقه أن يتزوج أربع نساء، ولكنها ليست لها الحق في أن تخون زوجها وتتحدث مع رجل غيره.

فانفعلت زهرة عليها، وقالت لها إنه لم يعد زوجها، وأنها ستعود إلى بلدتها وتعيش وحدها، وأخبرتها أن تخبر ابنها نادر المخادع أن يعطيها ورقة طلاقها، وهذا للإثبات فقط، ولكن في الواقع هي مطلقة منه ولم تعد زوجته.

فسألتها والدته: "ما معنى هذا الكلام الأحمق؟ وصممت أن تعرف مع من تتحدث، فمن هذا الرجل الذي تخون زوجها معه؟"

فضحكت زهرة، وقالت لها: "إنها ليست متزوجة، وطلبت منها ألا تتدخل فيما لا يعنيها، ثم أغلقت باب غرفتها بالمفتاح."

وفي الحال، ظهر الملك كايوس، وأخبرها بأنه سمع الحديث كله، وطلب منها ألا تهتم بما قالته والدة نادر، وأضاف أنه إذا أرادت، فهو على استعداد أن يأخذها معه حالًا إلى مملكته لتعيش معه.

توترت زهرة، وطلبت منه أن يتركها على راحتها حتى لا تخاف منه.

فطبطب عليها، وطمأنها بأنه لن يغصبها على شيء.

وحينما عاد نادر من العمل، أخبرته والدته أن زهرة تتحدث في الهاتف مع رجل، وتسمعها تقول له إنها تحبه وتعشقه.

فثار نادر، وكاد أن يكسر باب الغرفة عليها، ففتحت له، فدفعها بقوة، وأخذ يفتش في هاتفها، فلم يجد أي محادثات، فسألها عن

الرجل الذي تتحدث معه، فضحكت، واستهزأت به، وطلبت منه أن يذهب من غرفتها، ودفعته، وأغلقت الباب عليها.

لم ينم نادر في تلك الليلة، واشتعل قلبه من الغيظ، وأخذ يفكر كيف سيكشف تلك الخائنة، وحينها سيسلبها كل حقوقها، ولن يجعلها ترى ابنتها مدى الحياة.

ولكن في الحقيقة، نادر لم ينتبه أن زهرة أصبحت في عالم آخر، وربما لا ترى ابنتها.

فهل هذا بسبب تسميته إياها على اسم زوجته؟ أم أن زهرة قوية الشخصية ونرجسية؟ أم أن الملك كايوس له دور في ذلك، فيكون قد سحرها مثلًا، وجعلها لا تفكر إلا في عالمه فقط؟

وذات صباح، اتصلت بها صديقتها ليلى، وأخبرتها أنها بالأمس، رأت زوجها نادر، ووالدته سعاد، وأخته فاتن، وابنتها عهد في مطعم في أحد الفنادق الفاخرة. وكانت معهم عهد، زوجة نادر، فكانوا يأكلون، ويضحكون، ويتسامرون. فانهارت زهرة، وأخذت تصرخ، ودخلت غرفة نادر، وحطمت كل ما طالته يداها، وكادت أن تشعل النار في ملابسه، لولا أن والدته منعتها، وأخرجتها من الغرفة. فصرخت بها زهرة، وقالت لها:

_ أنتِ سيدة منافقة، ولا ضمير لكِ، وسوف أنتقم منكِ، ومن ابنك، ومن ابنتك، وسترى.

ثم اتصلت بوالدتها لطيفة، وحكت لها عن كل ما حدث، وأخبرتها أيضًا عن الملك كايوس.

فنهرتها أمها، وطلبت منها أن تصبر، وتكون عاقلة، وتحافظ على بيتها، وتنتبه لابنتها، وتجعلها تتعلق بها لتستخدمها كوسيلة ضغط على نادر، بل وتنجب منه مرة أخرى.

وعليها أن تفكر جيدًا في كيفية تأمين نفسها بقوة، حتى يأتيها اليوم الذي تتخذ فيه قرارها بنفسها، فالمال هو سلاحها الذي سيقويها في المستقبل، وعليها أن تحاول بالحيلة والذكاء أن تحصل من نادر على كل ما تستطيع، وهو بالتأكيد سيحاول إرضاءها بالمال والذهب والهدايا، فتنتهز هذه الفرصة، حتى يأتيها يوم تقف فيه على أرض صلبة، وتستغني عنه بإرادتها وهي في قمة قوتها.

ثم حذرتها من تعلق ابنتها عهد بعمتها فاتن، لأن هذا سيكون خطأ كبيرًا، سيجعلها بلا قيمة في عين نادر.

ثم طلبت منها، بحسم وشدة، قطع علاقتها بهذا الذي يُدعى كايوس، وتطلب من أحد الشيوخ أن يرقيها، أو ترقي هي نفسها، وحذرتها من أن تتبع طريق الجدة صفية، فتكون السبب في معاناة من حولها.

وأخبرتها أن زواجها من هذا الملك كايوس لن يكون زواجًا شرعيًا، وأنه محرّم عليها، فلا تجعل الدنيا تُغريها فتخسر دنياها وآخرتها.

وأخذت تبكي بحرقة، وترجتها أن تبتعد عن هذا الطريق الخطير، لأنها تحبها وتحتاج إليها بجانبها، وبدونها ستصبح وحيدة، وأضافت أنها تخشى غضب الله تعالى عليها.

بكت زهرة، وانهارت أكثر، فكل ما يهم أمها هو منعها من دخول عالم الملك كايوس حتى لا تعيش وحيدة بدونها، ولم يهمها الإهانة والخيانة اللتان تعرضت لهما.

شعرت زهرة بالانكسار والضعف أكثر من قبل، فقد خسرت أمها، وخسرت زوجها، وخسرت ابنتها، وخسرت أهل نادر، فكلهم لا يشعرون بآلامها، وزاد على ذلك أن أمها تسمي زواجها من الملك كايوس حرامًا.

وفي تلك اللحظة، أخذت زهرة قرارًا سيشعل النار في الهشيم.

الفصل الخامس عشر
قرار مصيري

جلست زهرة على سريرها وهي في قمة العصبية والتوتر، فكانت تنتظر كايوس حبيبها على أحر من الجمر لتخبره بقرارها الجديد، ولكن الغريب أنه لم يأتِ، فازداد توترها، فهذه أول مرة يتأخر عليها هكذا.

نامت زهرة مكانها من شدة التعب والإرهاق والتفكير، واستيقظت في الصباح وهي في قمة اضطرابها، فكايوس حبيبها لم يأتِ ويأخذها مثل كل ليلة، كما أنه لم يظهر لها في غرفتها، فماذا حدث يا تُرى؟

جلست تفكر وهي تبكي وتنعي حظها، وتقول لنفسها: "أيكون قد غدر بي، أو ذهب لغيري، أو حدث له مكروه؟"

وظلت طوال اليوم في توتر وانفعال حتى أتى الليل ولم يظهر أيضًا، وباتت ليلتها مثل الليلة السابقة.

وبقيت على هذا الحال سبع ليالٍ حتى كادت أن تسقط مغشيًا عليها من قلة الطعام والحزن، وبدأت تشعر بالخوف وتقول:

"هل سأعود وأضعف وأستسلم لنادر، وأتركه ينتصر عليَّ، ويشمت بي هذا وذاك؟"

كان نادر في قمة ثورته، فلم يعرف يمسك عليها أي خطأ، حتى أنه ذهب إلى شركة الاتصالات التابع لها وطلب تقريرًا بكل مكالمات الخط الذي تتحدث منه زهرة، ولكنه لم يجد أي أرقام غريبة تُدينها بأي خطأ.

فكان مثل المجنون، وفكر أنها قد تكون تتحدث مع نفسها، وتعمدت إسماع والدته ذلك حتى تثير غيرته وتفتعل بلبلة لتجعله يغضب ويتوتر.

نادر لم يكن عنده نية الصلح إلا بعد أن تخبره زهرة من الذي ساعدها هي وجارتها ليلى للوصول لتلك المعلومات، وأيضًا يجب أن تعتذر على كل إهاناتها وشتائمها له أمام والدته وأخته، وأن ترضى بالوضع القائم ولا تعترض على قراره، فستبقى عهد زوجته ولن يتركها أبدًا، فعليها أن ترضى وتتأقلم مع الوضع الجديد.

وكان يُحدث نفسه قائلًا: "أنا أحب عهد، بل أعشقها، ولكن أيضًا أحب زهرة من كل قلبي وأشعر معها بالسعادة، وأيضًا ما زلت أريد إنجاب المزيد من الأبناء منها، فأنا لا أريد أن أطلقها، ولكن لا يجب أن أضعف أمامها حتى لا تزيد في دلالها وتشعر أنها قادرة على السيطرة عليَّ، فإن الموقف الذي سأتخذه معها الآن هو من سيضع الخطوط الحمراء التي ستقف عندها زهرة."

وفي الحقيقة، كان نادر يُداري أيضًا خوفه منها، فكان في قمة القلق من رد فعل زهرة، فبإمكانها أن تفعل له فضيحة بين الناس وتكشف المستور، مما سيتسبب له في مشاكل لا حصر لها ولا عدد. فإذا وصل هذا السر لأهل عهد زوجته، ستشتعل نار لن تنطفئ، وقد يصل الأمر به إلى السجن.

ومن شدة حرصه واضطرابه، ذهب لسامح زوج ليلى واشتكى له أن زوجته تفتعل المشاكل بينه وبين زهرة، وتنقل لها عنه معلومات مغلوطة لا أساس لها من الصحة. ولكن سامح دافع عن زوجته وقال له إن معلوماته خاطئة ولا دخل لليلى في مشاكله مع زوجته.

وبعد أن ذهب نادر، واجه سامح ليلى بما قاله نادر عنها، فأنكرت. وبالرغم من أن سامح لم يصدقها ويعلم أن هناك حوارات لا يعلمها، ولكنه اكتفى بنصحها قائلًا: "ابتعدي يا ليلى عن زهرة، ولا تتدخلين بينها وبين زوجها حتى لا تأتينا المشاكل، فنادر يظهر عليه الكذب والالتواء والخبث، وفي عينيه نظرة تحدٍّ، وفي نبرته تهديد بالأذى."

من ناحية أخرى، ما زالت زهرة متوترة، فأين ذهب كايوس حبيبها؟ وبدأت تنادي عليه كالمجنونة وتقول له: "أين أنت يا كايوس يا محبوبي؟ أين أنت ولماذا تركتني وحدي؟" وتظل تبكي بالساعات.

وفي ليلة مقمرة، نامت زهرة والدموع في عينيها، ولكنها استيقظت على صوت يد تتحسس فراشها، ثم طبطبت على كتفيها وملَّست على شعرها الأسود الحالك.

انتفضت زهرة فوجدته حبيبها كايوس، فأخذت في تقبيله وعناقه، وضربته ضربات خفيفة على كتفيه وصدره، وبكت وسألته:

"أين كنت كل هذه الفترة يا حبيبي، ولماذا تركتني وحدي؟"

فطلب منها أن تهدأ، ثم أخذ رأسها على صدره، ولف يده حول ظهرها، ومسح دموعها التي تحولت في يده إلى حبات من اللؤلؤ، فابتسمت زهرة وقالت له:

"لقد رأيت معك عجائب لم أقرأ عنها في حكاوي الأساطير."

ثم عدلت عن جلوسها وقالت له بدلال:

"هيا أخبرني ما سبب غيابك عني كل هذه الليالي؟ أوجدت حبيبة غيري؟"

ضحك كايوس وقهقه وذكّرها بالميثاق الذي بينهما، وأنها ستظل حبيبته لآخر عمره، ولن يدخل قلبه امرأة أخرى أبدًا.

فقالت له بهمْس:

_ إذًا، هيا أخبرني ما سبب بُعدك عني؟

فنظر كايوس لها نظرة عتاب ممزوجة بعشق، واتهمها بأنها السبب، وأنه كان في قمة الغضب والحزن منها.

فتعجبت زهرة، وظهر الفزع على ملامحها، وسألته:

"لماذا يا حبيبي؟"

أجابها قائلًا:

"إن مكالمتك الهاتفية مع لطيفة والدتك أغضبتني وأغضبت عشيرتي، فما كان يجب أن تخبريها بأسرارنا وما يحدث في مملكتي، وبالخبايا التي جعلتك تطلعين عليها في المملكة."

دافعت زهرة عن نفسها فقالت له مستنكرة:

"أنت لم تطلب مني أن يكون هذا سرًا فيما بيننا."

فأخبرها قائلًا:

"وأنا لهذا السبب التمست لكِ العذر أمام نفسي وأمام عشيرتي، ولكن من الآن يجب أن تكوني حذرة لأن كل ما يحدث بيننا فهو من الأسرار."

فهزت زهرة رأسها بدلال وقالت له:

"سمعًا وطاعة يا ملك قلبي."

فقهقه كايوس، فتأكدت زهرة أنه سامحها.

جلست زهرة معه وتحدثا قليلًا، ثم أخبرته أنها تريد أن تعلم لماذا غضب من والدتها لطيفة؟

أجابها قائلًا:

"والدتك ذهبت إلى أحد العرّافين الماكرين، وحكت له عن علاقتنا، وطلبت منه أن يبعدني عنكِ. وقام هذا العرّاف الماكر، بمعاونة أعدائنا، بكتابة بعض الطلاسم النارية التي تسببت لي ولعشيرتي في المتاعب والأمراض، وأرسل هاتفًا عن طريق خدام هذه الطلاسم، يطلب فيه مني الابتعاد عنكِ، وإلا سيُشعل مملكتي بالنيران الزرقاء، وهي أشد نار في عالمنا."

ارتبكت زهرة وقالت له:

"لا، أمي يستحيل أن تفعل ذلك، فهي لا تحب أن تذهب للعرافين، وليس لها في هذا الهراء."

ردّ عليها كايوس بحدة وقال لها:

"لا، بل فعلت، حتى تُبعدني عنكِ."

فاعتذرت له زهرة، وضمّته إلى صدرها، وسألته ماذا فعل حتى يتخلص من أذى تلك الطلاسم؟

فضحك كايوس واعتدل وقال لها:

"ألم أقل لكِ إن الكاهن الأكبر هو من يتولى حمايتنا من الأعداء والسحرة؟ ولهذا السبب الكهنة وفرسان المعبد لهم مكانة خاصة عندي. كما أن الحامي الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى، وكهنة المعبد ليسوا إلا سببًا، لأنهم يعلمون طريقة فك تلك الطلاسم والأسحار ويتصدون لأي أذى يمس المملكة. وأن كل علم فهو من عند الله، وكل نصر ننتصره فهو بالتوفيق من الله."

فرحت زهرة حينما وجدت الإيمان في قلبه، وزاد حبها له، وطلبت منه أن يسمع قرارها، فوضع يده على فمها وأخبرها أن تستعد، لأنه سيأخذها معه الآن إلى مملكته، فهناك مفاجأة تنتظرها.

ثم أخذها وطار بها إلى أعلى السحاب لتستمتع برؤية النجوم والألوان المبهجة، ثم صعد بها على سطح القمر، ورقص معها كما

تحب، وأخيرًا هبط بها إلى أسفل قاع البحار المظلمة، ودخل بها إلى مملكته المبهرة، ثم إلى قصره الرائع.

ومن وقت أن دخلت معه مملكته حتى وصلت إلى داخل قصره الرائع، وهي ترى مظاهر احتفال عظيم، فالزينة الزاهية اللامعة البراقة تنتشر في كل مكان، ورأت الشموع والنيران المشتعلة في كل أرجاء المملكة، وشاهدت الرقص، وسمعت عزف الموسيقى وترديد الأغاني المفرحة، ورأت الطعام الشهي اللذيذ، والشراب الفاخر بأنواع لا حصر لها، ورأت رمي قطع الذهب والألماس والفضة في الطُرقات، وعلى كل أرضيات القصر المرمرية، ورائحة البخور والمسك والعنبر والعطور الرائعة التي لا توجد إلا في مملكة الملك كايوس، وتوزيع الحلوى والزهور، وارتداء الملابس المزخرفة والأقنعة الملونة، والاستعراضات البهلوانية، وإطلاق عروض الألعاب النارية.

سألت زهرة حبيبها كايوس عن سبب كل هذه المظاهر الاحتفالية المبهجة، فطلب منها أولًا أن تدخل معه إلى غرفتها لترى المفاجأة التي أعدها لها، فوجدت فستانًا طويلًا يصل إلى الأرض باللون الأخضر الياقوتي، وله ذيل مرصع بالألماسات البراقة، والياقوت الأحمر، والياقوت الأخضر، مما جعل الفستان يلمع تحت الأضواء، مما أعطاه بريقًا مدهشًا.

وكان الفستان يحتوي على خطوط ذهبية معقدة غريبة تُبرز جمال الفستان، وكان يتخلله حزام من الألماس اللامع، فأعطى الفستان رقة وأناقة، وحذاء رائع من الألماس والذهب الخالص.

شعرت زهرة بالانبهار وسألته:

_ لمن هذا الفستان؟

فأجابها:

_ إنه فستانكِ، فالليلة ليلة زفافكِ، وسأضع أخيرًا في رقبتكِ قلادة المُلك.

ثم أمر الجواري بمساعدة سيدتهم في ارتداء الفستان، وأخبرها أنه ينتظرها في الخارج.

وبالفعل، لبست فستانها الرائع وتزينت بأجمل الزينة، ورفعت شعرها إلى الأعلى بمظهر ملكي، ثم وضعت وصيفتها تاجًا رائعًا من الألماس والأحجار الكريمة النادرة على رأسها، ثم خرجت إلى الملك كايوس تتبختر وتتدلل بخطوات هادئة ليّنة بحذائها الألماسي، ومشت في الممر المؤدي إلى قاعة الاحتفالات.

وبمجرد أن لمحها الملك كايوس رقص قلبه واتجه نحوها بخطى سريعة، ومسك يدها ورفعها إلى الأعلى وأعلنها الملكة الرسمية وأعلن زواجه منها، ثم لف القلادة الملكية حول رقبتها وألبسها إياها، فصفق لهما كل الحضور وقدموا لهما الهدايا الثمينة، وبدأوا في تناول الطعام والشراب والرقص وترديد الأغاني.

كانت زهرة محط أنظار كل النساء والجواري، فكلهن قد اشتعلت نار الغيرة في قلوبهن، والتهم الغيظ أجسادهن حتى أصبحت ساخنة كالنار من هذه المحظوظة التي نالت هذا الشرف العظيم. ويقصدن طبعًا حب الملك كايوس لها، فهو كان قادرًا على إرسال أحد الحراس لخطفها من على سطح الأرض لتصبح جارية عنده وينالها دون الزواج منها، ولكنه عشقها وخُطف قلبه، فلم يرضَ لها بالإهانة، وأخذها بكامل إرادتها بعزة وكرامة وتوّجها ملكة عليهن جميعًا.

مضى الوقت وتمت مراسم الاحتفال، وأخذ الملك كايوس زوجته زهرة ودخلا إلى غرفتهما.

كانت زهرة في غاية السعادة، وبمجرد دخولها معه وعدها أن يردها في الصباح إلى المنزل، ولكن عليها أن تطلب السفر في الحال وترجع لبلدتها، فهي لا يصح أن تجلس مع نادر طليقها في نفس المنزل. فنظرت له زهرة نظرة عشق ناعمة وسألته:

- "لماذا لم تسألني إلى الآن عن قراري الذي كنت سأخبرك به قبل أن تطير بي؟"

فخبط الملك كايوس على جبهته واعتذر لها، وأخبرها أن فرحته بها جعلته ينسى كل شيء. ثم أخذها وأجلسها على قدميه وسألها عن قرارها.

فوضعت يدها على كتفه ونظرت إليه بشغف، ثم وضعت شفتيها على أذنيه وأخبرته بهمس وأنفاسها الحارة تداعب رقبته:

"أنا لن أعود إلى الأرض مرة أخرى يا كايوس، فقد قررت البقاء معك إلى الأبد."

لم يصدق الملك كايوس ما سمعه، وأخذها في حضنه وأخذ يُقبّلها ويسألها إن كانت فعلًا جادة في قرارها.

فأجابته بثقة أنها تعشقه ولن تتركه أبدًا، وستكمل حياتها معه داخل مملكته وقصره.

وهنا أخبرها الملك كايوس أن قرارها هذا له طقوس ملكية. فسألته:

"وما هي تلك الطقوس؟"

فأجابها أن في صباح الليلة السابعة من زواجهما سيأخذها إلى صخرة الياقوت الدامي.

تعجبت زهرة وسألته عن هذه الصخرة، فأجابها:

"أنها الصخرة الملكية التي يجب أن يذهب إليها كل من أسمح له بالبقاء في مملكتي، فيسقط قطرتان من دمه عليها بعد غرز كفه الأيسر بدبوس المُلك المرمري طريق حارسي الخاص كيان، وبمجرد سقوطها سيأخذ فورًا لون العين المرمرية الخاصة به."

فسألته كيف يحدث هذا؟

فأجابها أنه هو الملك، وهو من يحدد لون الأعين على حسب المكانة التي سينالها هذا الشخص، إن كان سيكون من عامة الشعب، أو العبيد، أو الحرس ورجال الأمن، أو القادة وفرسان الجيش، أو الكهنة وفرسان المعبد، أو الجواري. فسألته زهرة بدلال وشغف عن اللون المرمري الذي سيهديه لعينيها؟

فابتسم وأجابها بحب:

إن الفصوص والألوان المرمرية للعوام، أما أنتِ، فلعينيكِ الجميلتين فصان من الياقوت الأخضر القاتم. ولولا قرارها بالبقاء في مملكته، فما أخذتهما امرأة غيرها في كل العالم، فهي حبيبته التي ملكت قلبه.

فسألته زهرة بخوف عن طريقة إسقاط دمها على الصخرة، فهي تخاف أن يُخدش أحدهم كفّها.

فنظر لها الملك كايوس بحب شديد وطمأنها أنه لن يجعلها تتألم، فلا يصح أن يمسك كفّها أحد، حتى لو كان حارسه الخاص كيان.

ثم طمأنها أنه هو من سيفعل بلطف ورفق. وحتى يثبت حبه لها، سيسقط هو أيضًا قطرتين من دمه معها، وليختلط دمه بدمها.

فابتسمت زهرة، ثم وضعت رأسها على صدره وسألته:

"هل الجدة صفية فعلت ذلك؟"

فأجابها:

"بالطبع لا، فالجدة صفية لم تأخذ قرار بقائها داخل المملكة، ولذلك لم تفعل تلك الطقوس الملكية."

ثم طلب منها أن تكف عن الأسئلة، فالليلة ليلة زفافهما.

قضت زهرة مع زوجها الملك كايوس أجمل ليلة في عمرها بالأكمل، فكانت لأول مرة تتذوق طعم أن تكون المرأة زوجة لرجل تعشقه.

استيقظ نادر في الصباح وارتدى ملابسه للذهاب إلى العمل، وقبل خروجه من المنزل تسلل بخطوات هادئة ليتجسس على غرفة زهرة، فلم يسمع لها صوتًا، فألصق أذنه بالباب لعلها تتحدث في هاتفها، لكنه لم يسمع إلا صوت الراديو.

ذهب إلى العمل وهو يخطط لوضع جهاز تنصت أو كاميرا مخفية في غرفتها لمراقبتها. في الواقع، لم تكن الفكرة فكرته، بل كانت فكرة عهد زوجته.

مر اليوم دون أن يشعر أحد بغيابها، حتى منارة لم تلاحظ، لأن زهرة قد أمرتها بعدم إحضار الطعام أو تنظيف الغرفة إلا عند طلبها. وعندما عاد نادر، سأل والدته عنها، فقالت له إنها ربما تكون نائمة.

في صباح اليوم التالي، طلب نادر من منارة أن تذهب وتسأل عنها.

ذهبت منارة ونقرت على باب الغرفة بلطف فلم ترد، فذهبت إلى سيدها نادر وأخبرته بذلك. فقام نادر وطرق الباب بقوة، وحضرت والدته وفاتن على صوت الدق. اضطروا لكسر الباب، لكنهم لم يجدوها.

تساءل نادر متى خرجت؟

وكيف خرجت والمفتاح في الباب من الداخل؟ أتكون خرجت من النافذة؟ ولكن النافذة مغلقة من الداخل أيضًا.

اتصل نادر بهاتفها، فسمع رنين الهاتف في الغرفة، مما يعني أنها لم تأخذ هاتفها معها.

فنظر نادر لمنارة بغضب واتهمها بأنها من ساعدت زهرة على الهروب، فأنكرت وهي تبكي وتقول: "وكيف سأغلق باب الغرفة من الداخل؟" دفعها نادر بقوة، وهددها بالسجن إن لم تخبره أين ذهبت زهرة، ثم طلب منها أن تذهب وتسأل عنها عند السيدة ليلى جارتها، ثم طلب منها أن تنتظره فسيذهب معها.

دق نادر الجرس، ففتح له سامح وسأله ماذا يريد، فاتهمه نادر أنه رجل مائع وسلبي ويترك زوجته ليلى تفعل ما تريد وتخرب العلاقة بينه وبين زهرة زوجته، وهدده إن لم تخبره ليلى بمكان زهرة، فسيخبر الشرطة عنهما. فمسكه سامح من ياقته وكاد أن

يضربه، ولكن تدخلت ليلى في الوقت المناسب، وطلبت منه أن يذهب، فهي لا تعلم أين ذهبت زهرة، وقالت له:

"لو أردت أن تخبر رجال الشرطة، فلتخبرهم أيضًا أنها هربت لمخالفتك قانون الدولة التي تقيم فيها بزواجك السري بورقة عرفية من السيدة عهد، ولننتظر جميعًا قرار رجال الأمن."

فنظر لها نادر بغيظ، وحذرها من قول ذلك مرة أخرى وإلا سيجعلها تندم.

نهره سامح وطرده، وأمره ألا يعود مرة أخرى وإلا سيتصل برجال الأمن، وقال له:

"ابحث مع من هربت زوجتك."

ثم أغلق الباب بقوة في وجهه.

مشى نادر بخطى متعثرة وهو يشعر بالارتباك والغضب، فسمع ليلى تقول بصوت عالٍ: "أفضل شيء فعلته زهرة هو هروبها من هذا الرجل الخبيث الأحمق، الذي وجهه يشبه وجه الثعلب الأجرب مقطوع الذيل."

عاد نادر إلى منزله، فوجد أمه وأخته في انتظاره على باب المنزل، فأشار لهما بالدخول، وجلس على الكرسي يشعر بالحزن واليأس. سأل نفسه: "ماذا سيفعل في هذه الكارثة؟ وماذا سيقول لرجال الأمن؟ وماذا سيقول لأهل زهرة؟"، ولكنه انتبه إلى عدم وجود منارة، فنادى عليها فلم تجبه.

طلب من فاتن أن تبحث عنها في المنزل والحديقة، فلم تجدها، فازداد ارتباك نادر وسأل: "أين ذهبت هذه الحمقاء البلهاء؟"

بعد نصف ساعة، وجد الشرطة تطرق بابه ومعهم استدعاء له في القسم. بكت والدته وأخته، فالمصيبة كبيرة، وانتقمت زهرة منهم وتسببت في فضيحتهم، وقد يتسبب هروبها في كشف السر وسجن نادر.

ذهب نادر للقسم، فوجد منارة حررت محضرًا ضده تتهمه بمحاولة الاعتداء عليها، وأخبرت الشرطة أن سيدتها زهرة هربت منه بعد علمها بأنه خالف القانون وتزوج من امرأة من نفس البلد.

اتهمها نادر بالكذب، وأنه ليس هناك دليل على اتهامها له. فسأله رجال الأمن عن زوجته زهرة، فأجابهم أنه لا يجدها. فسأله الشرطي:

_ لماذا لم تبلغ الشرطة؟

فأجابه:

_ كنت أنتظر، لعلها تعود.

فسأله الشرطي:

_ لماذا هربت زوجتك من المنزل؟

فأجابه إنه لا يعلم، وأنكر وجود أي خلاف بينهما.

وبعد التحريات وتدخل ليلى السري عن طريق الضابط زوج صديقتها، تسببت في فضيحة نادر وعهد. وللحفاظ على سمعة عائلة عهد، انتهى الأمر بترحيل نادر وأمه وأخته من البلد.

بحثت الشرطة عن زهرة في كل مكان ولم يجدوا لها أي أثر. وهكذا عاد نادر وأمه وأخته وابنته إلى بلدهم وهم يشعرون بالخيبة والحسرة.

فزهرة شفَت غليلها وانتقمت منهم وجلبت لهم العار.

علمت لطيفة بحضورهم من الخارج، فأبلغت سمير بأن يحضر للذهاب معها لهم، فسألها: ألم تخبرها زهرة بعودتهم؟

فأخبرته أن زهرة خاصمتها منذ فترة ولم تكن ترد على مكالماتها بسبب نصيحتها لها بالحفاظ على بيتها.

وحكت لسمير عن كل ما حدث بين زهرة ونادر، ولكنها لم تخبره عن حكايتها مع الملك كايوس، فمن سيصدق هذا الهراء والسخف؟

ذهب سمير مع لطيفة إلى منزل نادر وسألوه عن زهرة.

أجابهم نادر بغضب أن ابنتهم تسببت في فضيحته وفصله من عمله، وزعم عنها أنها هربت مع رجل غريب.

وأضاف بسخرية أن زهرة العاشقة، كانت تتحدث مع عشيقها طوال الليل والنهار، وشهدت فاتن وأمه على ذلك.

فغضب سمير وصفعه على وجهه، واتهمه بالغش والانحراف، فكيف يتزوج من زهرة وهو متزوج من امرأة أخرى؟ وهدده بالقتل إن لم يخبره بمكان ابنته.

ارتفعت أصواتهم بالشجار والاتهامات المتبادلة، وتبادلوا الشتائم والإهانات.

أخذت لطيفة تبكي وتصرخ كالمجنونة، فهي تكاد تعلم أين ذهبت ابنتها، ولكنها في داخلها تُكذّب نفسها ولا تريد أن تصدق هذا السخف. ولكنها بالفعل نشأت في ظل هذا الهراء مع جدتها صفية. ولكن هل من عاقل سيصدقها؟ حتمًا سيتهمونها بالجنون. ولكن، هل اتهام نادر لزهرة بأنها هربت مع عشيقها، أليس هذا الاتهام في حد ذاته فضيحة كبرى؟

وأجهشت بالبكاء وسألت نفسها:

"هل فقدت ابنتي زهرة إلى الأبد؟ وماذا سيقول عنها الأهل والجيران؟"

وبالطبع، وصل الأمر بهم إلى قسم الشرطة، واتهم سمير نادر بقتل ابنته زهرة، بينما اتهم نادر زهرة بالهروب منه، واستشهد بمحاضر الشرطة التي تثبت بحثهم عنها في البلد الذي كان يعمل به، وأخبرهم أن البحث ما زال مستمرًا.

الفصل السادس عشر
سر القمر الدموي

عاشت روزانا، أو زهرة، حياة سعيدة مع زوجها الملك كايوس. وعلى الرغم من سعادتها، كانت دائمًا تتذكر والدتها وتبكي، حيث لم يعد بإمكانها رؤيتها، كما لم يكن بإمكانها رؤية والدها سمير، الذي لم يكن له تأثير كبير عليها.

كانت روزانا تشعر بأن والدها لم يكن مهتمًا بها أو يعبر عن حنانه تجاهها طوال حياتها، وكان أحد أسباب مآساتها.

كان الملك كايوس زوجًا حنونًا وعطوفًا، يعشق روزانا ويفضلها على كل النساء الأخريات في مملكته. وكان من قوانين الزواج أن يتزوج الملك زوجة واحدة فقط، وهي من تفوز بقلادة الملك وبفصي الياقوت الأخضر الداكن، ثم يتوجها ملكة رسمية بجانبه على العرش. وبالطبع، روزانا هي من فازت بكل هذا الشرف.

أما زوجات الملك الأخريات، فكن نوعين: النوع الأول هن أميرات جميلات من عشيرته، اختارهن كزوجات له دون أن يرتقين إلى منزلة الملكات، وكان الهدف من زواجه منهن هو إنجاب الأبناء. وكان لكل واحدة منهن الحق في الخلوة معه بانتظام.

أما النوع الثاني فهن جاريات مليحات يختارهن الملك من بين نساء أسرى الحروب أو من النساء اللاتي يأتين من عوالم أخرى. والتي تعجبه ويشعر بالرغبة تجاهها من نساء العوالم الأخرى، كان يأمر حارسه الخاص كيان بخطفها وإرسالها إلى صخرة الياقوت الدامي لتأدية الطقوس المتبعة.

وفي بعض الأحيان، كانت الصخرة ترفض بعض أنواع الدماء لكونها فاسدة وغير صالحة، لتماثلها وتشابهها مع دماء الأعداء، فكان الملك كايوس يأمر بردها مرة أخرى إلى عالمها ولكن بعد أن يسلب منها عقلها، فتصاب بالجنون ولا تستطيع إفشاء الأسرار التي عرفتها.

وبالرغم من أن روزانا عاشت معه حياة سعيدة وكانت تشعر بأنه يفضلها على الجميع، ولكنها كانت تذرف الدموع كل ليلة، فلم تحتمل صدمتها في الملك كايوس، فكيف يكون له نساء وجواري سواء من عشيرته أو من عوالم أخرى، ولماذا لم يخبرها بذلك قبل زواجه منها؟

شعرت روزانا بالقهر والألم، فهي لا تطيق فكرة أن يختلي بامرأة غيرها، فهي الملكة صاحبة القلادة الملكية، وهي الوحيدة التي حصلت على فصي الياقوت الأخضر القاتم، فكيف يصبح لزوجها وحبيبها نساء أخريات يستمتع معهن كما يستمتع معها تمامًا، ويقول لهن مثلما يقول لها.

ولأول مرة ينشأ خلاف بينهما، فوبخته بشراسة امرأة مجروحة الكرامة، واتهمته بالخيانة والغدر. ولكن الملك كايوس كان ملكًا حكيمًا، فاحتوى غضبها وطلب منها الهدوء، وأخبرها أن هذا هو قانون المملكة منذ آلاف السنين، وأي مخالفة للقوانين ستكون سببًا في زعزعة الأمان.

فقالت له روزانا وهي تبكي:

"أنا تركت نادر الذي لم أحبه لأنه خانني عندما أخفى عني زواجه. فهل من المعقول أن أقبل الآن فكرة أن يكون لحبيبي ومعشوقي نساء أُخريات غيري؟ فإن لم تمتنع عن خيانتي معهن فسوف أهرب منك، وإن منعتني فسأقتل نفسي بالسكين."

ولكن لأول مرة ترى روزانا وجهه الآخر، فبمجرد أن هددته بالهروب أو بقتل نفسها، غضب وثار وارتبك، وأمسكها بقوة من كتفيها، وحذرها من تنفيذ أي تفكير طائش، وإن تهورت وفعلت ذلك فستكون السبب في ضياع المملكة بأكملها.

ثم طلب منها ألا تخذله، وأقسم لها أنه لا يعشق امرأة غيرها، وأنه اختارها لتكون الملكة عليهن جميعًا، وهي الوحيدة التي تشاركه العرش.

ثم أخبرها أن قراره بالزواج منها قد أخذ منه الكثير من الوقت والجهد لإقناع الكاهن الأكبر بالموافقة، وهذا فقط لأنه يعشقها.

ثم أكمل حديثه بعد أن شرب بعض الماء البارد، وقال لها:

"أنا أحتاج إلى إنجاب أبناء يجلسون على العرش من بعدي، وأنا لا أستطيع الإنجاب إلا من نساء عشيرتي فقط."

ضحكت روزانا باستهزاء وسألته:

_ وماذا عن باقي النساء من الجواري ومن العوالم الأخرى؟

رد الملك كايوس عليها بحزم، وأخبرها قائلًا:

_ إن هذا قانون المملكة، وقانون آبائي وأجدادي.

فسألته:

_ وهل الملك سمعان كان كذلك؟

فهز رأسه مؤكدًا لها ذلك. فسألته:

_ وهل الجدة صفية كانت تعلم بهذا؟

فهز رأسه مرة أخرى مؤكدًا لها أنها كانت تعلم وتوافق.

انفعلت روزانا وقالت له بغضب:

"إن الجدة صفية لا تمثلني، ولم تكن تحب والدك الملك مثلما أحببتك أنا، فهي أبت أن تترك عالمها من أجله، إنما أنا تركت عالمي كله من أجلك."

ضحك الملك كايوس وهو يضمها إلى صدره، وأكد لها قائلًا:

"أنتِ عشقي الأبدي يا روزانا، ولا قيمة لأي امرأة أخرى في قلبي."

ثم اصطحبها لنزهة جميلة ممتعة تحت النجوم وأعلى السحاب، ورقص معها فوق سطح القمر كما كانت تحب. ثم طلب منها أن تبقى معه، وأخبرها أن أنفاسه مرتبطة بأنفاسها، وطمأنها أن مع مرور الوقت ستعتاد على الأمر. ولكن لم يخلُ الأمر من غيرة النساء، فكانت الأميرة هوميان، ابنة عم الملك كايوس، تطمع في قلادة المُلك، وكم تمنت الجلوس بجانبه على العرش لتنال لقب

الملكة الرسمية. ولكنها لا تعلم من أين أتت روزانا لتخطف قلبه وعقله، ولا تعلم كيف استطاع الملك كايوس إقناع كهنة المعبد بزواجه من هذه الإنسية؟ فقد كان يستطيع أن يمتلكها كجارية دون أن يتزوجها.

كانت هوميان ترى أنها ابنة عمه، وهي الأحق به، ووالدها هو العم الأكبر للملك كايوس، وهي الوريثة الشرعية والمستحقة لمنصب الملكة، لأنها صاحبة دم ملكي، وهي الأحق بتاج الملك.

هوميان تتمتع ببشرة عاجية نقية، وعيناها اللؤلؤيتان اللامعتان لا تليقان إلا بأميرة حقيقية، يتدلى شعرها الوردي الطويل حتى كعبيها، مما يزيد من جمالها وأنوثتها، شفتاها الكريزيتان اللون تزدادان جمالًا بفص الألماس الذي يلمع بينهما، ورقبتها الطويلة الملساء كالرخام تبرز أناقتها وجمالها، وأنفها المرفوع يوحي بالعزة والشموخ.

كانت تشتعل مشاعر الغيرة في قلب روزانا كلما رأتها، وتشعر بأنها قد تهدد مكانتها، ولكن كان زوجها الملك كايوس يطمئنها بكلمات حانية، قائلًا: "أنتِ الأجمل في عيني، وأنتِ حبيبتي التي اختارها قلبي، ولن أعشق غيرك أبدًا."

كان الملك كايوس يشعر بالذعر عندما يلمح القمر دمويّ اللون، وكان يطلب من روزانا في هذه الليلة إسقاط بعض القطرات من دمها على حجر الياقوت الدامي، وكان يبرر لها طلبه هذا بكونه طقوسًا

مقدسة في مملكته، ويجب على زوجته الملكة أن تؤديها لضمان استقرار المملكة وسلامتها.

وكان من طقوس الملك كايوس أنه يقضي الليالي القمرية مع روزانا ولا يتركها وحدها أبدًا خوفًا من ظهور القمر باللون الدامي.

وفي إحدى الليالي غير القمرية، قضى الملك كايوس ليلته مع إحدى نسائه، وكانت روزانا في تلك الليلة تجلس بمفردها في غرفتها وتشرب فنجان قهوتها مع بعض حبات الرمان، كما كانت تحب أن تفعل والدتها لطيفة تمامًا.

انتهزت هوميان الفرصة وذهبت إليها، وجلست معها بحجة تسليتها، ودخلت عليها وهي في كامل جمالها وأناقتها، ثم تجاذبت معها أطراف الحديث، ثم واجهتها بالحقيقة المرة. فأخبرتها أن الملك كايوس لم يتزوجها بحب، بل كان مجبرًا على ذلك لإنقاذ مملكته، خاصةً بعد موت الملكة صفية، فكان عليه أن يسرع بقدوم امرأة من سلالتها وتحمل دمها.

تعجبت روزانا وسألتها عن السبب. فصارحتها هوميان بأن دمها يحمل سرًا قديمًا، ولا تقدر أن تحكي لها أكثر من ذلك.

توترت روزانا، وصممت أن تعرف منها الحقيقة، ولكن هوميان أخذت منها عهدًا ألا تخبر الملك كايوس، لأنه لو علم بكشف السر فسوف يقتلهما معًا.

وافقت روزانا، وعاهدتها بكتمان السر. روت لها هوميان عن جدتها الكبيرة الملكة نعساء، التي هي والدة الملكة صفية، فأخبرتها: "أن الملكة نعساء كانت زوجة الملك يمان، والد الملك سمعان، والد الملك كايوس. فقد عشق الملك يمان الملكة نعساء، وكانت في قمة جمالها وريعان شبابها، ولكنها رفضت هذا العشق المحرم وقاومته بكل قوتها، حتى أنها كانت تذهب إلى بعض العلماء والعرافين لطلب مساعدتهم على التخلص من الملك يمان.

وتسبب هذا في حرائق هائلة وخراب كبير في المملكة، فغضب الكاهن الأكبر على الملك يمان، وطلب منه أن يتركها وشأنها. ولكنه كان يعشقها، وأصر على استمرار محاولاته معها. وحاول كثيرًا أن يضع قلادة الملك في عنقها، ولكنها رفضت تمامًا، وقاومته باستماتة حتى لا يمتلكها.

واستمرت نعساء في اللجوء إلى العرافين، وإلى علماء النجوم والفلك، حتى ضعفت المملكة وكاد أن ينال منها الأعداء. فأمر الكاهن الأكبر الملك يمان بأن يتخلى عن عشق الملكة نعساء أو يخطفها قبل بزوغ الفجر. كان الملك يمان يأمل أن يمتلكها بإرادتها حتى يشعر معها بالسعادة، ولكنها لم تجعل له خيارًا آخر.

وعزم على المحاولة معها للمرة الأخيرة، ولكنها كانت امرأة قوية، وكان قرينها قويًا مثلها، وكان يساعدها بكل قوته، حتى اشتعلت الحرب بينه وبين الملك يمان. وانتصر عليه الملك يمان، فهو كان ملكًا عظيمًا لا ينازله إلا ملك له نفس القدر.

وفي تلك الليلة، وقبل بزوغ الفجر، ذهب الملك يمان إلى الملكة نعساء، وحاول أن يضع القلادة الملكية في عنقها بإرادتها للمرة الأخيرة، ولكنها دفعته بكل قوتها، فقد كانت امرأة قوية البنية ذات طول وعرض وجمال وقوام ممشوق.

وفي تلك الليلة، أخذ الملك يمان قراره، واستخدم قوته وطاقته النجمية، وخطفها رغمًا عنها، وأتى بها إلى المملكة. ولكنها لم تستسلم له، فظلت تقاومه، ولكن ضعفت قوتها أمامه بعد ما أصبحت أسيرته، ولبست القلادة رغمًا عنها، وعادت للمملكة قوتها من جديد.

وأقام الملك يمان الولائم العظيمة، وقام بتوزيع الهدايا الثمينة من الذهب والفضة والألماس على أفراد المملكة احتفالًا بزواجه من الملكة نعساء. وقد كان يستطيع أن يمتلكها كجارية دون الزواج منها، ولكنه رفض أن يكسر أنفها أمام عائلته وعشيرته، فهو يعشقها عشقًا حقيقيًا، ولهذا قرر أن يحفظ لها كرامتها، فتزوجها ووهبها فص الياقوت الأخضر القاتم، وتوجها ملكة على كل نسائه، وعلى الكبير والصغير، وأجلسها بجانبه على العرش.

وتم الزواج بالفعل، ولكن الملكة نعساء لم تعترف بشرعية هذا الزواج، فهو زواجٌ محرم، وهي تخاف من غضب الله سبحانه وتعالى عليها. وأخذت تستعطف زوجها الملك يمان أن يردها إلى عالمها السابق، ويخلي سبيلها لتعيش مع زوجها وأبنائها. ولكن كان الملك يمان يغضب غضبًا شديدًا، قائلًا لها: "أنتِ الآن قد أصبحتِ

زوجتي، وليس لكِ زوج غيري، وأنا أحذرك أن تطلبي ذلك مني مرة أخرى، وإن أردتِ أبناءكِ، فأنا على استعداد أن أرسل حارسًا يخطفهم ويبقون معكِ إلى الأبد."

ولكنها خافت على أبنائها ورفضت. وذات ليلة قمرية، وكان القمر دموي اللون، ذهبت الملكة نعساء إلى المعبد بحجة التحدث مع الكاهن الأكبر لتتعلم منه طقوسهم السنوية وقت الأعياد. جلست الملكة نعساء مع الكاهن الأكبر، وتحدثت معه قليلًا، ثم نظرت له بتحدٍ وسألته عن مدى صحة ظاهرة كونية أخبرها بها أحد علماء النجوم والفلك.

فسألها الكاهن الأكبر في دهشة عن ما أخبرها به هذا العالم، فأجابته أنها أخبرته: أنه إذا حدث وظهر القمر باللون الدموي في إحدى الليالي القمرية، وسال دم إنسية على أرض المعبد في هذه الليلة بواسطة الخنجر الخاص بالكاهن الأكبر، فسيؤدي هذا إلى خراب هائل وعظيم داخل المملكة.

وفجأة، قبل أن يستوعب الكاهن الأكبر صدمته من معرفتها للسر، خطفت الملكة نعساء الخنجر الخاص به من أمامه في لمح البصر، وقتلت نفسها، وغطت دماؤها أرض المعبد الرخامية. وهنا تسببت الملكة نعساء في حلول اللعنة على المملكة، فاشتعل المعبد بالنيران، وغطى الدخان الأسود جو المملكة، مما تسبب في علم الأعداء بما حدث.

فاغتنم الفرصة الملك هرفان، ملك جزيرة البركان الناري، وهو من أقوى ملوك الأعداء، فهجم بجيوشه على المملكة، واشتعلت الحرب بين الملك هرفان والملك يمان، وانتهت بمقتل الملك يمان على يد عدوه هرفان. ولكن الملك سمعان العظيم تولى قيادة الجيش بعد مقتل والده، وانتصر على الملك هرفان، وقتله واسترد المملكة.

ولكن للأسف، استردها وهي كومة من الخراب، وبعد مجهود عظيم منه، تم بناء المملكة من جديد. ولكن حتى تتخلص المملكة من تلك اللعنة، فلا بد أن نمتلك على الدوام دم إحدى النساء من سلالة الملكة نعساء، حتى إذا ظهر القمر باللون الدموي في أي ليلة قمرية، فمن الضروري اجتناب حدوث اللعنة على المملكة. ولهذا السبب، يحتاج الملك إلى أخذ الدم منها على صخرة الياقوت الدامي، وإلا سيعم الخراب على المملكة.

ثم أخبرتها أن زواج الملك كايوس منها لم يكن اختيارًا، بل كان تضحية منه لإنقاذ المملكة من الدمار. وأن دمها هو المفتاح لرفع اللعنة، خصوصًا بعد موت الملكة صفية التي كانت تعلم القصة بأكملها، وكانت هي من تقوم بهذا الدور للحفاظ على استقرار المملكة."

وهنا أدركت روزانا لماذا طلب منها زوجها الملك كايوس أن تهب بعض قطرات دمها لصخرة الياقوت الدامي في الليلة الدموية السابقة للقمر، وعلمت أيضًا لماذا يقضي معها كل الليالي القمرية ولا يتركها أبدًا.

أجهشت روزانا بالبكاء، ولكن هوميان الخبيثة ضمتها إلى صدرها، وكأنها تواسيها، ثم عرضت عليها أن تردها إلى عالمها فوق الأرض. فسألتها روزانا عن كيف يتم هذا، فقد أخبرها الملك كايوس أنه مستحيل.

ضحكت هوميان وقالت لها إن هذا مستحيل عليها هي فقط، وليس على الأميرة هوميان صاحبة الدم الملكي.

وهنا طلبت منها روزانا المساعدة، وطلبت منها العودة إلى والدتها لطيفة، فوعدتها هوميان أن تساعدها، فخلعت من إصبعها خاتمًا من الزمرد الأخضر، وطلبت منها أن تلبسه في إصبعها ولا تخلعه أبدًا حتى لا يستطيع الملك كايوس العثور عليها أو رؤيتها.

وبالفعل، ارتدت روزانا الخاتم، فطارت بها هوميان إلى بيت والدتها، وحذرتها من خلع الخاتم من إصبعها حتى لا يعثر عليها الملك كايوس ويقتلها، ونبهتها إلى شيء آخر:

إذا نزعتِ الخاتم من إصبعها، فسيحترق الخاتم على الفور، وستصبح مختلة عقليًا، وسيسلب عقلها إلى الأبد. فلا أحد عاد من مملكتهم إلى عالمه الأسبق إلا وأصابه الجنون.

ثم ودعتها، وخطفت من رقبتها قلادة الملك، واختفت على الفور.

وأخيرًا عادت زهرة، وليست روزانا.

بحثت عن والدتها لطيفة داخل المنزل، فوجدتها تجلس بجانب النافذة، وبدا الحزن والأسى على ملامحها المحطمة. نادت عليها زهرة، فانتفضت لطيفة وسألت في خوف:

– من يناديني؟ وكأنه صوت زهرة.

فقالت لها زهرة:

– أنا أمامك يا أمي.

ثم ضمتها إلى صدرها، فازداد خوف لطيفة وارتعشت، وقالت لها:

– أنا أسمعك وأشعر بكِ، ولكنني لا أراكِ.

أدركت زهرة أن هوميان الماكرة لم تخبرها أنه لن يستطيع أحدٌ رؤيتها، وبذلك قد صدر الحكم عليها بالموت وهي ما زالت على قيد الحياة.

بكت زهرة بصوت مسموع، وطلبت من أمها أن تهدأ، وطمأنتها أنها زهرة ابنتها، وستروي لها كل ما حدث. جلست زهرة وحكت لها كل ما حدث، وطلبت منها ألا تخبر أحدًا حتى لا يصيبهما الأذى.

بكت لطيفة، واتهمتها بالتهور، فهي لم تستمع إلى نصائحها، والآن كيف سيتخلصون من هذه المصيبة؟ وتخشى أن تستعين بأحد العلماء فلا يستطيع حل المشكلة، فيصيبهما الأذى.

عاد الملك كايوس في الصباح ولم يجد روزانا حبيبته، فجن عقله وأخذ يبحث عنها في كل مكان ولم يجدها، فلجأ إلى الكاهن الأكبر، فأصابه الذعر وطلب منه أن يجدها بأسرع وقت قبل حلول الليالي القمرية، فهم لا يعلمون متى سيظهر القمر الدموي مرة أخرى.

طلب منه الملك كايوس أن يقدم له المساعدة وينظر في البلورة البحرية، فقد يعلم مكانها.

نظر الكاهن الأكبر فيها ولكن لم يجد لها أي أثر. جمع الملك كايوس كل الحراس والفرسان وأرسلهم في البحث عنها ولكن دون فائدة.

أخذ يفكر الملك كايوس كيف هربت روزانا، فهذا ليس في استطاعتها، فمن ساعدها إذًا؟ وبدأت الوساوس تخطر بباله، فهل يكون أحدهم خطفها وخبأها؟ ولكن إن كان حدث هذا، فحتمًا كانت ستظهر في البلورة البحرية.

وهنا تدخل حارسه الخاص كيان وأخبره أنه علم شيئًا غريبًا، فقال له:

_ قد أخبرني صديقي حارس الصاغة الملكية في قصر عمك الأمير الأكبر، أن ابنته الأميرة هوميان طلبت منه خاتمًا جديدًا من الزمرد الأخضر الخاص بالقوة الخفية، لأن خاتمها قد أصبح قديمًا وذهب عنه البريق. وأمرته ألا يخبر أحدًا. ولكن صديقي حارس الصاغة لا يخفي عني أمرًا، خاصة إن كان أمرًا خطيرًا كهذا وفي هذا الوقت الحرج.

سرح الملك كايوس وسأل نفسه عما إذا كانت ابنة عمه الأميرة هوميان لها يد في ما حدث؟

أمر الملك كايوس باستدعاء الأميرة هوميان، وبعد مواجهتها، ظهر الارتباك على وجهها، ولم تستطع بالطبع أن تقدم له خاتمها الزمردي القديم لتثبت براءتها.

أرسل الملك كايوس حارسه كيان إلى غرفتها ليبحث عن الخاتم إن كان موجودًا أم لا، فوجد قلادة الملك الخاصة بروزانا في درج الخزانة الخاصة بها.

اضطرت الأميرة هوميان أن تعترف بكل ما حدث، فأمر الملك كايوس بحبسها داخل القلعة الغارقة، وأمر الحراس ألا تخرج منها أبدًا حتى يأذن هو لها.

ثم طار بسرعة البرق وذهب إلى منزل لطيفة، والتزم الصمت حتى سمعها وهي تتحدث مع والدتها، فتتبع نبرة صوتها ثم أمسك بها في الحال، ونزع الخاتم من إصبعها وألبسها القلادة الملكية قبل أن ينزعه حتى لا تُصاب بالأذى.

صرخت زهرة واضطربت لطيفة ولم تفهم ماذا يحدث، حتى وجدت زهرة تظهر أمامها وتراها بوضوح، فأخذت تعانقها وتبكي. وهنا ظهر الملك كايوس لأول مرة إلى لطيفة، ففزعت منه وتذكرته، هذا هو الشخص الذي كان يأخذ منها ابنتها في الحلم القديم الذي كانت تحلم به في منزل والدها.

ألقى الملك كايوس عليها السلام وطلب منها ألا تخف منه، فهو زوج ابنتها وحبيبته الوحيدة.

ضحكت زهرة باستهزاء وأخبرته أن زواجه منها تم لمصلحة مملكته، وليس لأنه يحبها كما يزعم.

نظر لها الملك كايوس نظرة غضب ممزوجة بالعشق، وطلب منها أن تكف عن الظنون السيئة. ولأول مرة يتكلم معها بحدة وغضب شديدين، وطلب منها أن تسمعه جيدًا، ونهرها قائلًا لها:

_ "كنت قادرًا على خطفك ولم أفعل ذلك لأنني أحبك.

وكنت قادرًا على حبسك والأخذ من دمك متى أشاء ولم أفعل.

وكنت قادرًا على امتلاكك كجارية دون زواج، ولكنني أيضًا لم أفعل.

وكنت قادرًا على اختيار غيرك من نساء عائلتك، فأتزوج أي واحدة من نسل أبناء أو بنات الملكة صفية، ولكنني أيضًا لم أفعل، على الرغم من أنهن يفوقنك جمالًا.

وقد كنت قادرًا على تركك على حالتك التي وجدتك عليها الآن، لتكملي حياتك دون وجود أو مرأى لكِ، خاصةً بعد أن انتزعت الأميرة هوميان قلادة الملك من رقبتك، ولكنني أيضًا لم أفعل.

وكنت قادرًا على انتزاع الخاتم من إصبعك دون وضع القلادة الملكية في عنقك، فأتركك مصابة بالجنون. ثم أتزوج أو أختطف في الحال أي امرأة أخرى من عائلتك. ولكنني أيضًا لم أفعل".

ثم ذكّرها أنها هي التي من طلبت منه البقاء معه في عالمه، وأنه لم يُجبرها على ذلك، فكيف تجرأت وألقت عليه هذا الاتهام؟

ثم وضح لها أنه أخفى عليها قصة الملكة نعساء التي كشفتها لها الخبيثة هوميان، حتى لا تحزن وتتأثر بهذا الماضي المؤلم، فهو يعشقها ولا يريد أن يرى حزنها.

لم تشعر زهرة أو (روزانا) إلا وهي ترتمي على صدره وتبكي، فهي أيضًا تعشقه إلى حد الجنون.

طلب منها حبيبها كايوس العودة معه، فمن الخطر عليها البقاء أكثر من هذا في عالمها الأسبق.

ترجته لطيفة أن يترك لها ابنتها ويأتي إليها عندما يشاء.

رفض الملك كايوس طلبها، فروزانا قد وهبت دمها لصخرة الياقوت الدامي، وبذلك أصبحت من مملكة الياقوت الدامي، ولا رجعة لها أبدًا إلى عالمها، وأنه قد أخبر روزانا بهذا الأمر قبل أن تفعل.

استعدت روزانا للرحيل مع زوجها وحبيبها كايوس، وودعا لطيفة بكل حب، ووعدها الملك كايوس أن يجعلها ترى ابنتها روزانا كل ستة أشهر لمدة أسبوعٍ واحدٍ فقط، على شرط ألا يراها ولا يشعر بها أحد، وهذا كل ما يقدر أن يقدمه لها، وسيكون ثمن هذا الوعد أنه سيضطر إلى قطع عقلة من أحد أصابع قدمه اليسرى وتقديمها قربانًا لكهنة المعبد، وأنه سيفعل هذا فقط ليثبت حبه الأبدي لروزانا زوجته وحبيبته، وليقدم لها تضحية تسعدها كما ضحت هي أيضًا لإسعاده.

شكرته لطيفة واطمأن قلبها أنها سترى زهرة، حتى وإن كان على فترات متباعدة، ولكن المهم أنها ستراها.

عادت روزانا مع كايوس وعاشت معه في سلام، وكانت في كل ليلة قمرية دموية، تجلس لساعات طويلة على حافة صخرة الياقوت الدامي بعد تأديتها للطقوس اللازمة، لتتأمل وتتذكر كل الأحداث التي مرت بها. ولكن كان يؤرقها التفكير في عهد، ابنتها التي ستعتني بها عمتها فاتن، وستكون هي أمها التي ستعاصر معها كل مراحل عمرها.

تساءلت روزانا عن مستقبل ابنتها عهد، وهل من الممكن أن تعيش نفس التجربة التي عاشتها هي؟

ويا تُرى على من سيكون الدور المرة القادمة؟

الملكة روزانا كانت تعلم أن ابن الملك كايوس هو من سيختار الوريثة المستقبلية للعرش، فهل ستكون عهد؟

أم ستكون ابنة عهد؟

أم ستكون واحدة من نسل أبناء أو بنات الملكة صفية الآخرين؟

أخيرًا، وقفت الملكة روزانا على حافة صخرة الياقوت الدامي ورفعت رأسها للسماء، ونظرت إلى القمر الدموي وقالت له:

"أنا الملكة روزانا، ورثت العرش بعد وفاة الجدة الملكة صفية، التي ورثته بدورها عن والدتها الملكة نعساء.

أنا الملكة روزانا، لست متمردة مثل الملكة نعساء، ولا محايدة مثل الملكة صفية، ولا مستسلمة مثل لطيفة.

اخترت طريقًا مختلفًا، طريقًا يقودني إلى الجاه والسلطة والحب. عندما وجدت نفسي أمام خيارين، إما الاستسلام أو المقاومة، اخترت الاستسلام لمن سيجبرني عليه إن رفضت.

تعلمت أن ليس كل رفض يعني القوة.

وهكذا عشت قصة حب ملتهبة مع الملك كايوس.

لا أرغب أن أتحدث معك أيها القمر البدر الدموي مثلما تفعل لطيفة.

لن أكون رهينة لتقلباتك المزاجية، فتارة تلمع وتارة أخرى تصبح دمويًا.

لن يبهرني بريقك ولن أخضع لدمويتك.

لن أرتشف قهوتي معك، فأنا أرتشفها من معسول حبيبي.

فأنا ملكة، ولديّ ملك يحبني.

لقد رقصت مع الملك كايوس وعانقته، فأصبحت ملكة على عشيرته.

لو رفضته، لجعلني "زهرة" جاريته، ولكنني اخترت أن أكون روزانا زوجته.

الوداع يا قمري، فأنا ملكة ولن أبكي تحت سمائك.

الوداع يا قمري، فحتى أبني قصوري، حتمًا سأشعل كهوفي".

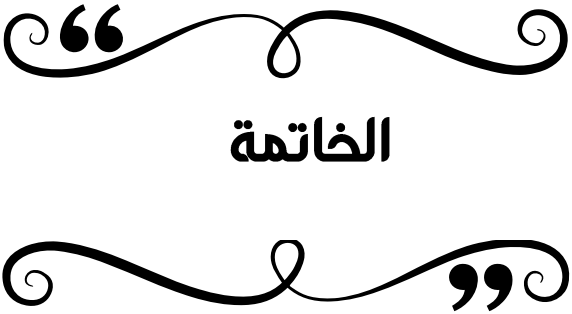

الخاتمة

الناس يعتقدون أن الاختفاء يعني الهروب أو الأذى، ولكن هناك قصص كثيرة غير معروفة عن أناس اختفوا في ظروف غامضة.

بعضهم رحلوا برغبتهم

وبعضهم رحلوا رغمًا عنهم

وبعضهم تم جرّهم فجأة إلى عوالم مجهولة

وبعضهم مختطفون إلى أبعاد أخرى

وبعضهم أسرى عوالم موازية.

بعضهم عادوا، ولكنهم عادوا مسلوبي العقل والإرادة

وبعضهم اكتسبوا قوى خفية اطّلعوا من خلالها على أسرار مخيفة.

قد لا يصدقني البعض، ولكن لا يعلم مدى خطورة العوالم السرية الخفية إلا من خضع لسيطرتهم، ودخل إلى عوالمهم المريعة، وخاض طقوسهم الغامضة.

إحداهن:

"لم تهرب حتى تتحرر من القيود، أو لتفوز بحريتها، أو لتتسكع في طرقات الهوى، ولم يقتلها أحد، ولم تهرب مع أحدهم، ولم تجلب العار إلى أهلها."

أحدهم:

"لم يهرب من ضغط الظروف، ولا من الملل والرتابة، ولا للبحث عن الحرية، ولم يكن جبانًا أو غدارًا، ولم يفعل فعلته الشنعاء وهرب."

يُقال إنهم يعيشون في عوالم موازية...

يسكنون أماكن غير مرئية، يسكنون أعماق البحار حيث المخلوقات المجهولة والممالك الغارقة، أو أعماق المحيطات حيث الغموض والأسرار، أو باطن الأرض حيث الأشباح، أو على أسطح بعض الكواكب المخفية، أو في العوالم الافتراضية.

إنهم سافروا عبر الزمن ليختبئوا في الفضاء الشاسع، أو في مكنون الطاقات الكونية والقوى النجمية، أو في أماكن سرية، أو في كهوف مهجورة، أو في أبيار جافة معتمة، أو في طوايا الأرض السابعة، أو في مكنونات الغيب المروعة.

إنهم في بواطن كونية لا محدودة، أو مغضوبٌ عليهم، مشرّدون كالأرواح الهائمة المعذبة.

هم يسكنون حيث الظلمات والغموض والأسرار، يسكنون الفضاء والغيبيات والأعماق.

إنهم فقط في عوالم أخرى مستترة، غير مرئية.

لقد اختفوا في عوالم مجهولة، تاركين وراءهم تساؤلات محيّرة. قد يذهبون بأجسادهم ويختفي أثرهم، وقد يبقون معنا تاركين أجسادهم تعبث، ولكن أرواحهم تسكن عوالم خفية.

هي ليست مجنونة، وهو ليس مختلًا، لا، لقد حُكم عليهم بالجنون والخلل عندما عادوا، حتى لا يفضحوا الأسرار الكونية المرعبة والمكنونات المفزعة.

"إنهم في عوالم أخرى."

****

يُقال إن "عاصم" بدأ يتخذ موقفًا رجوليًّا مع لطيفة!

فهل هي مجرد شائعات، أم حدث بالفعل؟

فهرس

عذراء المشاعر... ..... ٥
المقدمة ٧
الفصل الأول حلاوة البدايات ٩
الفصل الثاني محاولة حياة ٢٥
الفصل الثالث الخديعة ٣٥
الفصل الرابع قناع التقى ٥٣
الفصل الخامس العشق الأعمى ٦٩
الفصل السادس أهداف ساقطة ٨١
الفصل السابع ليلة الزفاف ٩١
الفصل الثامن الجريمة المستترة ١٠٣
الفصل التاسع حيلة ذكية ١١٥
الفصل العاشر انتقام القدر ١٣٣
الفصل الحادي عشر مملكة الياقوت الدامي والذكريات ١٤٣
الفصل الثاني عشر أوراق التاروت ١٥١

الفصل الثالث عشر كشف الأسرار ١٦٥
الفصل الرابع عشر الخيانة الخفية ١٧٧
الفصل الخامس عشر قرار مصيري ١٩١
الفصل السادس عشر سر القمر الدموي ٢٠٩
الخاتمة ٢٢٩